

الزواجُ والعائلةُ (الجزءُ الأوّل)

Study Booklet # 6

بِقَلَمِ: القَسِّ الدُّكْتُورِ دِكِّ وُودُورِد
تَرْجَمَةَ: القَسِّ الدُّكْتُورِ بِيَارِ فَرَنْسِيْسِ

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو إلكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

محتويات الكتاب

٢	الفصل الأول قانون الزواج والعائلة
١١	الفصل الثاني الزواج في نظر الله
١٥	الفصل الثالث الروابط السبع للوحدة
١٨	الفصل الرابع رابط الاتصال
٢٥	الفصل الخامس رابط الانسجام
٣٣	الفصل السادس رابط الحب

الفصل الأول

قانون الزواج والعائلة

منذ عدّة سنوات، كانَ هناكَ رجلٌ حدثت معه مشاكل ميكانيكيّة في سيارته القديمة، فتوقّف على جانب الطريق. فجاءَ رجلٌ في ثيابٍ أنيقة نفيسة، وسيارة فخمة، وتوقّف لكي يُساعدَ الرجلَ الذي تعطلت سيارته. فتوقّف ذلك الرجل، وفتحَ غطاءَ مُحركِ السيارة. وكانت هذه السيارة القديمة موديل فورد، إحدى السيارات الكثيرة المنتشرة في أميركا. فعَمَلَ الرجلُ الأنيق على مُحركِ سيارة الفورد القديمة هذه، وأصلحَهُ بِسرعة البرق. فسألَ الرجلُ صاحبَ السيارة القديمة الرجلَ الآخرَ قائلاً، "كيف حدثَ أنّك تعرف إلى هذا الحدّ عن سيارات الفورد؟" فأجابَ الرجلُ الثري، "أنا هنري فورد. أنا الذي صنعتُ هذه السيارة، وأنا صاحب الشركة التي تصنعُ هذه السيارات."

وهكذا كما نتوقّع أن يعرفَ هنري فورد أن يُصلحَ سيارة فورد، كذلك بإمكاننا أن نتوقّع أن يتمكّنَ الله من إخبارنا كيف يُصلحُ الزواج، لأنّه هو الذي خلقَ الزواج. إن هذا العرض لمبادئ الزواج والعائلة مؤسسٌ على كلمة الله. وهو ينطلقُ من كون الله هو الذي خلقَ الزواج والعائلة، وهو الذي يستطيعُ إخبارنا كيف نُصلحُ زواجاً مُحطماً. ويستطيعُ الله أيضاً أن يُخبرنا ما هو الزواج وهدفُهُ، وما هي خطّة الله للزواج والعائلة.

ماذا علّمَ يسوعُ عن الزواج والعائلة؟

علينا نحنُ تلاميذ يسوع المسيح، أن نبدأَ كُلَّ دِرَاسَةٍ نقومُ بها بالسؤال، "ماذا قالَ يسوعُ عن هذا الموضوع؟" عندما سألَ رجالُ الدين يسوعَ عن الزواج والطلاق، أجابهم بسؤالٍ آخر، "ألم تقرأوا أنّه من البدء خلقهُما الله ذكراً وأنثى؟" (متّى ١٩ : ٤). كانَ يسوعُ يقولُ بالمبدأ، "إذا أردتم أن تفهموا الزواج كما هو الآن، عليكم أن ترجعوا إلى البداية وتدرّسوا الزواج كما قصدَ الله له أن يكونَ أصلاً."

خطّة الله للزواج

"في البدء، قالَ الله، "لنعمل الإنسان على صورتنا كشَبَهنا... فخلقَ الله الإنسانَ على صورته، على صورةِ الله خلقَهُ، ذكراً وأنثى خلقَهُم. وباركهُم الله وقالَ لهم، اثمروا واكثروا واملأوا الأرض وأخضِعوها." (تكوين ١ : ٢٦-٢٨).

عبرَ سردِ أحداثِ الخلق، كانَ الله ينظرُ إلى ما خلقَهُ ويقولُ، "إنّه حسنٌ." ولكن عندما تصلُ إلى الإصحاح الثاني، ستجدُ الكلمات، "ليسَ حسناً." فما هو هذا الذي لم يكنْ حسناً؟ أن يبقى آدم وحده. "فأوقعَ الربُّ الإلهُ سُباتاً على آدم فنام؛ فأخذَ واحدةً من أضلاعِهِ

وملاً مكانها لهما. وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم. فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي. هذه تُدعى امرأة لأنها من امرء أُخِذَتْ. لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً" (تكوين ٢: ٢١-٢٤).

لقد رأى الله أن الإنسان وحده غير كامل. وتعني الكلمة المستخدمة في النص العبري، "سأصنع له مكماً". هذا ما تعنيه كلمة "معين" أو "مُعِيناً نَظِيرَهُ" باللغة العبرية. لقد أعطانا الله منذ البداية تعريفاً للأدوار في الزواج والعائلة. فالرجل غير كامل بدون المرأة. ويُفترض بالمرأة أن تكمل الرجل.

يتكرر سجل الخلق ثانية في تكوين ٢، وثالثة في تكوين ٥: ١-٢، مع التشديد على أن الله خلق الإنسان ذكراً وأنثى. لاحظوا أن الله في تكوين ٥، لم يدع ذرية الإنسان "الآدميين"، بل دعاهم "آدم". لأن كلمة "آدم تعني "إنسان"، وهكذا يكون هذا تعليماً حذفاً بأن الرجل والمرأة اللذين يجتمعان في رباط الزواج المقدس يُصبحان إنساناً كاملاً. هذه طريقة أخرى للقول أن خطة الله للإثنين هي أن يصيرا واحداً.

أشخاص، شركاء، ووالدون

ما نراه حتى هذه المرحلة في كلمة الله هو قانون حياة. ويمكننا تسميته "قانون الزواج والعائلة". ولكي تعمل هذه الخطة، كان ينبغي أن يكون لدى الله والدين متلائمين. ولكي يكونا هما والدين متلائمين، ينبغي أن تكون بينهما شراكة ملائمة. ولكي تكون بينهما شراكة ملائمة، ينبغي أن يكونا شخصين متلائمين.

إن الشراكة التي خطت لها الله عندما خلق آدم وحواء، لم تكن شراكة مخلوقين طفيليين يفتان على بعضهما البعض. ولم تكن الشراكة بين شخص عادي وشخص طفولي إتكالي، والتي يكون فيها شخص يمتص الحياة من الآخر. إن الخطة كانت وهي، أن يقوم شخصان متكاملان ببناء الحياة في بعضهما البعض، وبناء الحياة معاً، كما قصد الله عندما خلق الرجل والمرأة. إن هذا المبدأ يصح اليوم بمقدار ما كان يصح في بدء الخليقة.

إن خطة الزواج والعائلة هذه هي تحت هجوم شرس اليوم. فهناك الكثيرون يقولون اليوم، على سبيل المثال، أنه على المرأة أن تُبرهن مساواتها للرجل من خلال قيامها بكل ما يقوم به الرجل. فهذه النظرية تقول أنه إن لم يكن للمرأة نفس دور وعمل الرجل، فلن يكون لها نفس الأهمية أو الجدارة مثل الرجل.

من جهة نجد المتعصبين للرجولة يُنادون بتفوق الرجال. ومن جهة ثانية، سوف نجد المتعصبين للنساء يُنادون بتفوق النساء، وكأن القضية هي إختيار حتمي لواحد من أمرين.

بِحَسَبِ حُطَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، فَإِنَّ عِلَاقَةَ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى هِيَ عِلَاقَةٌ وَاحِدَةٌ. فَإِنْ كَانَ شَخْصَانِ مُتَشَابِهَيْنِ تَمَامًا، سَيَكُونُ وُجُودُ وَاحِدٍ مِنْهُمَا غَيْرَ ضَرُورِيٍّ. لِهَذَا خَلَقْنَا اللَّهُ تَعَمُّدًا بِطَرِيقَةٍ فَرِيدَةٍ، ذَكَرًا وَأُنْثَى، لِكَيْ يُكْمَلَ كُلُّ مَنْ آخَرَ. تُحَاوَلُ الْحَضَارَةُ أَنْ تُقَلِّلَ مِنَ الْفُرُوقَاتِ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ، لِكَيْ يُبْرَهَنَ أَنَّ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى هُمَا مُتَشَابِهَانِ تَمَامًا. وَلَكِنْ هُنَاكَ تَنْوُّعٌ جَمِيلٌ وَقَصْدٌ رَائِعٌ فِي الطَّرِيقَةِ الَّتِي حَلَقَ بِهَا اللَّهُ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى.

إِحْدَى الطَّرِيقِ لِتَوْضِيحِ قَانُونِ الزَّوْجِ وَالْعَائِلَةِ هَذَا، هِيَ بِتَصَوُّرِ هَرَمٍ مَقْسُومٍ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ. أُكْتُبُ عَلَى الْقِسْمِ السُّفْلِيِّ (أَوْ قَاعِدَةِ الْهَرَمِ): "أَشْخَاصٌ"، وَعَلَى الْقِسْمِ الْوَسْطِيِّ: "شُرَكَاءٌ"، وَعَلَى الْقِسْمِ الْأَعْلَى (أَوْ قِمَّةِ الْهَرَمِ) أُكْتُبُ: "وَالِدَيْنِ".

(صُورَةٌ مُتَلَثِّ مَقْسُومٍ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ كَمَا جَاءَ الْوَصْفُ.)

فَلِكَيْ يُصْبِحَ لَدَيْكَ هَرَمٌ، لَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَكْتَفِيَ بِالْقِسْمِ الْأَعْلَى فَقَطْ. بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ، مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا وَالِدَيْنِ مُلَائِمَيْنِ لَا يَكُونُ لَدَيْهِمَا شِرَاكَةٌ مَمْسُوحَةٌ مِنَ اللَّهِ. وَمِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا الْقِسْمُ الْوَسْطِيُّ مِنَ الْهَرَمِ بَدُونِ الْقِسْمِ السُّفْلِيِّ. إِنَّ أَسَاسَ الشِّرَاكَةِ الَّتِي تَصْنَعُ وَالِدَيْنِ صَالِحِينَ هِيَ شَخْصَانِ مُتَلَائِمَانِ. فَالْقِسْمُ السُّفْلِيُّ هُوَ الْقِسْمُ الْأَسَاسِيُّ وَالْحَيَوِيُّ. وَبِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ، فَإِنَّ الْجِزءَ الْحَيَوِيَّ مِنَ الزَّوْجِ هُوَ الشَّخْصَانِ اللَّذَانِ يَقُومُ عَلَيْهِمَا الزَّوْجُ.

مَنْ أَيْنَ نَبْدَأُ؟

هُنَاكَ أَرْبَعُ مَنَاطِقَ مَشَاكِلَ فِي كُلِّ زَوْجٍ. فِي زَوْجٍ بَيْنَ وُلْدٍ وَسُعَادٍ، مَنَاطِقَةُ الْمَشْكِلةِ الْأُولَى هِيَ وُلْدٍ. وَمِنَاطِقَةُ الْمَشْكِلةِ الثَّانِيَةِ هِيَ سُعَادٍ. وَمِنَاطِقَةُ الْمَشْكِلةِ الثَّلَاثَةِ هِيَ وُلْدٍ وَسُعَادٍ وَقَضَايَا إِنْجَامِهِمَا مَعًا. وَأَوْلَادُهُمَا هُمُ الْمَنَاطِقَةُ الرَّابِعَةُ لِلْمَشَاكِلِ فِي زَوْجِهِمَا.

فَإِنْ كَانَ لَدَى وُلْدٍ خَمْسُونَ مَشْكِلةً مِثْلًا، وَلَدَى سُعَادٍ خَمْسُونَ مَشْكِلةً أَيْضًا، فَسَيَكُونُ فِي هَذَا الزَّوْجِ مِائَةٌ مَشْكِلةً قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ كُلُّ مَنْ وُلْدٍ وَسُعَادٍ بِمُوَاجَهَةِ الْمَشَاكِلِ الْمُشْتَرَكَةِ. فَإِذَا قَرَّرَ وُلْدٌ أَنْ يَبْدَأَ الْعَمَلَ عَلَى تَحْسِينِ زَوْاجِهِ، عَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِالْمَشْكِلةِ رَقْمِ وَاحِدٍ – أَيِ هُوَ نَفْسُهُ. وَعَلَى سُعَادٍ أَنْ تَبْدَأَ بِالْمَشْكِلةِ رَقْمِ إِثْنَيْنِ – أَيِ هِيَ نَفْسُهَا. فَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الْإِعْتِرَافِ أَوْ الْقَبُولِ بِأَنَّكَ جِزءٌ مِنَ الْمَشْكِلةِ، فَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مُرْشِدٌ زَوْجِيٌّ عَلَى الْأَرْضِ يَقْدِرُ أَنْ يُسَاعِدَكَ فِي زَوْاجِكَ. وَلَكِنْ إِذَا نَجَحْتَ فِي حَلِّ الْمَشَاكِلِ فِي حَيَاتِكَ، تَكُونُ قَدْ حَلَلْتَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَشَاكِلِ فِي عِلَاقَتِكَ.

دَعَوَنِي أَشَارِكُ بِقِصَّةِ تَوْضِيحِ هَذَا: ذَهَبَ رَجُلٌ إِلَى طَبِيبِهِ النَّفْسِيِّ، وَعَلَى رَأْسِهِ خَسَّةٌ وَثَلَاثُ بَيْضَاتٍ، وَشَرِيحَةٌ مِنَ اللَّحْمِ الْمُقَدَّدِ عَلَى كُلِّ مِنْ أَدْنِيهِ. فَدَعَاهُ الطَّبِيبُ النَّفْسِيُّ لِلدُّخُولِ وَالْجُلُوسِ، فَجَلَسَ بِحَرِصٍ شَدِيدٍ لِكَيْلَا تَقَعَ الْبَيْضَاتُ الثَّلَاثُ عَنْ رَأْسِهِ. فَقَالَ الطَّبِيبُ، "هَلْ تُرِيدُ التَّحَدُّثَ عَنِ الْمُسْكِلَةِ؟" فَأَجَابَ، "نَعَمْ أَيُّهَا الطَّبِيبُ، أُرِيدُ أَنْ أَتَكَلَّمَ مَعَكَ عَنْ أَخِي الْمَسْكِينِ، فَهُوَ يُعَانِي الْكَثِيرَ مِنَ الْمَشَاكِلِ."

يَلْتَقِي رُعَاةُ الْكِنَائِسِ وَالْمُعَالِجُونَ النَّفْسِيُّونَ يَوْمِيًّا بِأَشْخَاصٍ مِثْلَ هَؤُلَاءِ، الَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَعْتَرِفُوا بِإِحْتِمَالِ كَوْنِهِمْ جُزْءًا مِنَ الْمُسْكِلَةِ. قَالَ يَسُوعُ بِهَذَا الصَّدَدِ مَا مَعْنَاهُ، "لَدَيْكَ خَشَبَةٌ فِي عَيْنِكَ، وَلَكِنَّكَ تَتَجَوَّلُ مُفْتَشِشًا عَنْ قَشٍّ فِي عَيُونِ الْآخَرِينَ؟" (مَتَّى ٧: ٣). إِنَّ الْأَشْخَاصَ اللَّادِعِيَّ الْإِنْتِقَادِ هُمْ خُبْرَاءُ فِي إِكْتِشَافِ أَخْطَاءِ الْآخَرِينَ، وَلَا سِيَّمَا فِي مَنَازِلِهِمْ وَزِيَجَاتِهِمْ. وَهُمْ دَائِمًا يَضْعُونَ اللَّوْمَ عَلَى الْآخَرِينَ أَوَّلًا، دُونَ أَنْ يَخْطُرَ بِبَالِهِمْ أَنَّهُ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونُوا جُزْءًا مِنَ الْمُسْكِلَةِ، حَتَّى وَلَوْ إِتَّضَحَ لِلْجَمِيعِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَكْبَرُ مِنْهَا.

إِنَّ أَعْظَمَ إِرْشَادٍ زَوْجِيٍّ فِي الْعَالَمِ نَجْدُهُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. فِي هَذَا الْكُتَيْبِ، لِهَذَا سَوْفَ نَنْظُرُ إِلَى نَوْعٍ مِنَ الْإِرْشَادِ الزَّوْجِيِّ الَّذِي يُقَدِّمُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ. وَهَكَذَا سَوْفَ نَكْتَشِفُ بَعْضَ النَّمَاذِجِ وَالْمَبَادِئِ. أَحَدُ النَّمَاذِجِ هُوَ: فِي كُلِّ مَرَّةٍ يُعَالِجُ فِيهَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ مَوْضُوعَ الزَّوْاجِ، يَعِزُّ الشَّرِيكِينَ إِلَى شَخْصِينَ مُنْفَرِدِينَ. فَهُوَ يَتَكَلَّمُ إِلَى الرَّجُلِ عَنْ دَوْرِهِ، وَخِلَالَ ذَلِكَ، يُخْبِرُهُ عَمَّا هِيَ مَسْئُولِيَّاتُهُ فِي الزَّوْاجِ. وَعِنْدَمَا يُخَاطَبُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ الْمَرْأَةَ، يُعَلِّمُهَا عَنِ مَسْئُولِيَّاتِهَا فِي الزَّوْاجِ.

مِثْلًا، يَبْدَأُ الْمَقْطَعُ الْمَوْجُودُ فِي الْبُطْرُسِ ٣ بِمُخَاطَبَةِ النِّسَاءِ، خَاصَّةً اللَّوَاتِي لَا يُطِيعُ أَزْوَاجَهُنَّ الْكَلِمَةَ. وَفِي الْأَعْدَادِ السَّتَّةِ التَّالِيَةِ لَا يَقُولُ بَطْرُسُ أَيَّ شَيْءٍ لِلزَّوْجِ أَوْ عَنْهُ. وَلَكِنَّهُ يُعَلِّمُ النِّسَاءَ عَنِ قَضَايَا مُتَنَوِّعَةٍ، مِثْلَ الطَّهَارَةِ، وَاللِّبَاسِ، وَالْحُضُوعِ. وَيُخْبِرُ النِّسَاءَ بِأَنْ يَبْدَأَنَّ دَائِمًا بِمِنْطَقَةِ الْمَشَاكِلِ رَقْمَ إِثْنَيْنِ. وَعَلَيْهِنَّ أَنْ يَسْأَلْنَ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُنَّ مَا يُرِيدُهُنَّ أَنْ يَكُنَّ وَأَنْ يَعْمَلَنَّ فِي زَوَاجِهِنَّ.

ثُمَّ يُخَاطَبُ بَطْرُسُ الْأَزْوَاجَ عَنِ مِنْطَقَةِ الْمَشَاكِلِ رَقْمَ وَاحِدٍ. يُعَالِجُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ دَائِمًا الْأُمُورَ بِطَرِيقَةٍ وَاقِعِيَّةٍ عَمَلِيَّةٍ. فَهُوَ يَتَكَلَّمُ مَعَ الْأَوْلَادِ عَنْ أَدْوَارِهِمْ وَمَسْئُولِيَّاتِهِمْ تَجَاهَ وَالِدَيْهِمْ. فَالْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ يُقَدِّمُ تَعْلِيمًا وَاقِعِيًّا عِنْدَمَا يَفْعَلُ هَذَا؛ لِأَنَّ الشَّخْصَ الْوَحِيدَ الَّذِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْمَلَ شَيْئًا حَيَالَهُ هُوَ الشَّخْصُ الَّذِي أَنْتَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَيَّ أَنْتَ نَفْسُكَ.

قَدْ يَتَطَلَّبُ الْأَمْرُ الْكَثِيرَ مِنَ الْوَقْتِ لِيَتَعَلَّمَ بَعْضُ الْمُتَزَوِّجِينَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ سَيَقُولُونَ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ، "أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعْمَلَ شَيْئًا حَيَالِ شَرِيكَةِ حَيَاتِي." وَبِالْفِعْلِ فَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ. فَأَمَامَ عَرْشِ اللَّهِ فِي الدِّينُونَةِ، لَنْ تَكُونَ أَنْتَ الْمَسْئُولَ عَنِ مَشَاكِلِ شَرِيكَكِ أَمَامَ اللَّهِ. وَلَكِنَّكَ سَوْفَ تُعْطَى حِسَابًا عَنِ نَفْسِكَ، لِأَنَّكَ مَسْئُولٌ عَنِ نَفْسِكَ فَحَسَبِ. وَسَوْفَ تَكُونُ حَكِيمًا إِذَا

بدأت بتقديم هذا الحساب النهائي منذ الآن، بتحملِ مسؤوليَّةِ الشخص الذي أنتِ مسؤولٌ عنه في الزواج، أي أنتِ نفسك.

في كثيرٍ من الأوقات في حلقاتِ الإرشاد مع المتزوجين، لا يستطيعُ راعي الكنيسة أن يلتقي مع الزوج والزوجة معاً، لأنه كان سينتهي به الأمرُ كحَكَمٍ يُحاولُ إيفاقهما عن العراك. لهذا سيكونُ من الحكمة أن يلتقي مع كُلِّ شخصٍ من الزوجين بمفرده. وبعد الكثير من العمل مع كُلِّ منهما على مواجهة مشاكله، بإمكانه أن ينتقل إلى الحديث عن قضايا الشراكة والإنسجام. ولكن إن كان هؤلاء الأزواج غير مؤمنين بيسوع المسيح، ينبغي أن تكون الأولوية عند الراعي أن يقود الزوج أو الزوجة إلى الخلاص، وإلى علاقة مع الله من خلال المسيح. إن الإرشاد الزوجي يمكن أن يكون أداةً تبشيريةً مُثمرة بالنسبة لمُرشدٍ رُوحى أو لراعي كنيسة.

قال أحدُ رعاة الكنائس لرَجُلٍ، "إن الزواج ليس إتِّفاقَ مُناصفة؛ وليس شخصان كُلُّ منهما يتمتع بمائة بالمائة بما يريد. بل الزواج هو شخصان مُخصَّصان لله مئة بالمئة." فذهب رجُلٌ إلى منزله وقال لزوجته، "قال راعي الكنيسة أن الزواج هو مئة مقابل لا شيء؛ أنا المئة وأنتِ اللاشيء." بعضُ الناس يحدون صُعبَةً أن يعترفوا بالحقيقة المؤلمة بأنَّ قسم "الأشخاص" من هرم الزواج هو أساس هذا الهرم. وهنا تبدأ المشاكل الزوجية، وهنا ينبغي أن تبدأ حلول الزواج. عندما يقبلون هذه الحقيقة، عليهم أن يدركوا عندها أن الشخص الذي ينبغي أن يبدأوا معه هو الشخص الذي يستطيعون أن يصلوا إليه، أي ينبغي أن يبدأوا مع أنفسهم.

ماذا يعني الزواج لله

إذا اقتربت من قانون الزواج والعائلة مُتسائلاً عما ستجدُ فيه لِمَنفَعَتِكَ، فسوف تجدُ فيه الكثير. اعتقد أن البيت السعيد هو أفضل ما يمكن وجوده في العالم بعد الخلاص. ولكن إذا أردت أن تتمتع بوجهة نظرٍ كتابية حول موضوع الزواج والعائلة، إطرح السؤال، "ماذا يوجد في هذا الموضوع من المنفعة لله؟ ماذا يعني الزواج لله؟ لماذا أسس الله الزواج؟ ولماذا خلق الإنسان ذكراً وأنثى؟ لقد أراد الله أن يملأ الأرض بالبشر الصالحين.

إن المزمور ١٢٨ هو واحدٌ من أعظم وأبلغ التعبيرات عن هذه الخطة الإلهية. "طوبى لكُلِّ من يتقي الرب ويسلك في طرقه. لأتلك تأكلُ تعبَ يديك. طوباك وخيرٌ لك" (الأعداد ١-٢). كثيرون يُحبون أن يضعوا نقطةً نهائيةً بعد الكلمة الثانية من العدد الأول "طوبى لكُلِّ". وهكذا نجدُ الكثيرين اليوم يُعلمون بالكونية. فينظرونهم إن كان الله إلهاً محبباً، ينبغي أن يكون الجميع مُباركين. ولكن ليس هذا ما تُعلمه كلمة الله. فهذا واحدٌ من مزامير

الرجل المبارك، التي هي أحد المواضيع المفضلة في سفر المزامير. وهي دائماً تُخبرنا أنّ بركات الرجل المبارك ليست صدفةً أو حادثاً عرضياً. بل هي نتيجة طاعة الله.

يُخبرنا هذا المزمور أيضاً كيف يستخدمُ الله الرجل المبارك، وكيف يجدُ الرجل المبارك موقعةً في خطة الله للأمر. ويتابع كاتبُ المزمور بالقول، "امرأتك مثل كرمة مُثمرة في جوانب بيتك. بنوك مثل عُروس الزيتون حول مائدتك... يُباركك الربُّ من صهيون وتبصرُ خيرَ أورشليم كلَّ أيام حياتك. وترى بني بنيك" (الأعداد ٣، و٥-٦).

بهذه الطريقة يعملُ الله في هذا العالم. فهو يعملُ من خلالِ قانونِ الزواج والعائلة. وهو يجدُ رجلاً يؤمنُ به ويسلُكُ في طُرقه، ويُباركُ هذا الرجل، ويجعلُ منه أباً، إذ يدخلُ إلى حياته امرأةً تُكملُهُ. وكنتيجةً لصيرورة هذين الشخصين شريكي حياة، يُنتجانِ عائلةً. ويبقى أولادهما معهما حوالي عشرين سنةً، بينما تنمُ تربيتهم وإعدادهم لمواجهة الحياة في هذا العالم. يستخدمُ الله أفرادَ هذه العائلة للتأثير على مدينتهم، وأمتهم، وبالنهاية عالمهم.

إنَّ ذكرَ صهيون [أي شعبُ الله القديم] في ذلك المزمور هو إشارةٌ في العهد القديم مُوازيةً للكنيسة في العهد الجديد. فكيف يعملُ الله في هذا العالم؟ يميلُ المسيحيونَ للإعتقاد بأنَّ الله يعملُ من خلالِ الكنيسة، ولكن ليسَ تماماً. فالكنيسةُ مُكوَّنةٌ من وحداتٍ عائليةٍ. فالوحدةُ الأساسيةُ في العالم هي العائلة. لهذا يستخدمُ الله الوحدةَ العائليةَ ليؤثِّرَ على صهيون، أي الكنيسة في العهد الجديد، ثم يستخدمُ هذه الوحدات العائلية التي تجتمعُ في شركةٍ روحية، ليبارك المدينة، ثم الأمة، ثم العالم. فإن لم تكن الأمورُ على ما يُرام في العالم اليوم، ولا في الأمة، ولا في المدينة، فأين تجدُ المشكلة وتكتشفُ الحلَّ؟ بإمكانك أن تُعالجَ المشكلة وتجدَ لها حلاً حيثُ يضعُ الله المُتوجِّدينَ في عائلاتٍ. (مزمور ٦٨: ٦).

منذُ سنواتٍ طويلة، حَصَّصتُ مجلةً عدداً كاملاً من أعدادها لمشكلة الأُولاد والجريمة. ولقد إكتشفَ الخبراءُ المُنتوِّعونَ الذين كتبوا المقالات، إكتشفوا إحتِمالاتٍ مُختلفة. تساءلَ هؤلاء عن مصدرِ المشكلة في المُجتمع. فهل الخطأُ خطأُ الدولة؟ أم خطأُ التربية والثقافة؟ أم خطأُ الحضارة؟ وبعضُ الكُتَّاب تساءلوا حتى ما إذا كانَ الخطأُ هو في دورِ العبادة التي قد لا تكونُ تلعبُ دورَها كما ينبغي؟ ولكن في النهاية توصلَ علماءُ الإجتِماعِ وفُضاءُ محاكمِ الأحداثِ والمُرشدونَ الإجتِماعيونَ الذي شاركوا في هذه المقالات، توصلوا إلى الإِسْتنتاجِ التالي: أنَّ المشكلة هي في العائلة.

مسؤوليةُ الرجل

بحسبِ قانونِ الزواج والعائلة الذي نجدُهُ في الكتاب المقدَّس، تبدأُ المسؤوليةُ مع الرجل. بينما أنظرُ إلى مشاكلِ الزواج والعائلة اليوم، أظنُّ أن المشكلة الكبرى هي الرجال الذين لا

يقبلون المسؤولية ليكونوا ما يريدُه الله للرجل أن يكون رأسَ المنزل، أو بالأحرى الكاهن الروحي للمنزل. فبدايةً بركة الله في هذا العالم بحسب المزمور ١٢٨، هي عندما يؤمن رجلٌ بالله ويسلُك في طُرُقِه. عندما يخاف رجلٌ الله ويسلُك في سُبُلِه، يُصبح لدى الله أساساً يستطيع أن يبني عليه هَرَمَه، وأن يضع قانون الزواج والعائلة موضع التنفيذ، لأنه صار لديه رجلٌ مبارك. ويُجمَع الرجلُ المُبارك مع امرأةٍ مُباركة، ويُنجبان أولاداً مُباركين، وهكذا تسيّر خطة الله. بهذه الطريقة يُريدُ الله أن يعمل ويُؤثّر على المنزل، الكنيسة، المدينة، الوطن، والعالم. فالكلُّ يبدأ مع رجلٍ مبارك.

ولكنّ الزيجات المُحطّمة والعائلات المُفكّكة التي لم يسبق لها مثيل، تركت الشباب البالغين بدون نماذج أدوارٍ ليقبّدوا بها. أستطيع أن أُسمي لكم درّينةً من الرجال الذين جاؤوا إليّ طالبين مني أن أكون والدَهُم، لأنّه لم يكن لديهم والد. قال لي مرّةً أحدُ هؤلاء الرجال وهو عزيزٌ جداً على قلبي، "لا أريدُ أن يصبحَ عندي أولادٌ قبل أن أعرف كيف أكون أباً. فهل تقبل أن تكونَ أباً لي لفترةٍ ما؟"

لقد جاء إليّ أشخاصٌ في مرحلةٍ ما قبل الزواج قائلين، "نحن قلّفون كما تعرف. فهناك الكثير من الزيجات تنتهي بالطلاق، ونحن لم نرَ حتّى زواجاً واحداً ناجحاً حتى الآن. فأهلنا انفصلوا ولم نرَ أبداً زواجاً مسيحياً، ولا نعرف حتّى كيف يكون. فكيف نستطيع أن نتأكد من إمكانية حصولنا على زواج سعيد وعائلة سعيدة؟"

كيف تستطيع أن تخلق وتبني عائلة؟ يقول سليمان، أحكم وأغنى رجلٍ عاش في الدنيا، في المزمور ١٢٧، "إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البنّؤون. إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس. باطلٌ هو لكم أن تُبكرُوا إلى القيام مؤخّرين الجلوس آكلين خبز الأتعاب. لكنّه يُعطي حبيبه نوماً."

نجد في هذين العديدين النبويين قصّة حياة سليمان، أو كلمات حكّمته على فراش الموت. إن هذا المزمور الصغير هو موجزٌ لعظته العظيمة التي تُسمّى "الجامعة". ولقد كانت كلمته المُفضّلة في هذا الموجز لقصّة حياته هي "باطل".

لقد كان سليمان الأكثر مجاهدةً وإدماً على العمل، ورغَم ذلك يقول أنّه من الممكن أن تعمل باطلاً. لا بدّ أنّه قلق على عدّة أمور، ولكنّه يُخبرنا هنا أنّه من الباطل أن تُبكر إلى الاستيقاظ، وأن نسهّر إلى وقتٍ متأخّر، ونأكلُ خبز الأتعاب. وهو يُخبرنا أيضاً أنّه من الممكن أن نبني باطلاً. لقد كان سليمان بناءً عظيماً. فهو لم يبن فقط هيكلًا، بل بنى أيضاً مُدناً وحدائق واسطبلات. فذات مرّة بنى أسطولاً من السفن لكي يذهب فيه ليلقي التحية على ملكة ما. لا نهاية لما بناه سليمان.

مَنْ الْمُمكنُ أَنْ نَهْتَمَّ بِاطِلًا عِنْدَمَا نَهْتَمُّ بِالْأُمُورِ الْخَطَا، أَوْ أَنْ نَعْمَلَ بِاطِلًا عِنْدَمَا نَعْمَلُ لِلْأُمُورِ الْخَطَا، وَأَنْ نَبْنِيَّ بِاطِلًا عِنْدَمَا نَبْنِي الْأُمُورَ الْخَطَا.

ثُمَّ يَنْتَقِلُ سُلَيْمَانُ لِلْحَدِيثِ عَنِ الْأَوْلَادِ. وَلَكِنْ هَلْ مِنْ عِلَاقَةٍ لِكُلِّ مِلْأَحْظَاتِهِ السَّابِقَةِ مَعَ مَوْضُوعِ الْأَوْلَادِ؟ بِالتَّأَكِيدِ. فَلَقَدْ اِنْتَبَهُ سُلَيْمَانُ أَنَّهُ بَنَى كُلَّ شَيْءٍ بِاسْتِثْنَاءِ حَيَاةِ أَوْلَادِهِ. وَهُنَا، يَقُولُ هَذَا الْمَلِكُ الْحَكِيمُ، "هُوَذَا الْبَنُونَ مِيرَاثٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ ثَمْرَةُ الْبَطْنِ أُجْرَةٌ. كَسِهَامٍ بِيَدِ جَبَّارٍ هَكَذَا أَبْنَاءُ الشَّبِييَةِ. طُوبَى لِلَّذِي مَلَأَ جُعبَتَهُ مِنْهُمْ. لَا يَخْزُونَ بَلْ يُكَلِّمُونَ الْأَعْدَاءَ فِي الْبَابِ" (أَعْدَادُ ٣-٥).

إِنَّ هَذَا الْمَزْمُورَ هُوَ تَطْبِيقٌ سَلْبِيٌّ عَظِيمٌ لِقَانُونِ الزَّوْجِ وَالْعَائِلَةِ. يَقُولُ سُلَيْمَانُ، "لَا تَعْمَلُوا مِثْلِي، لِأَنَّيْ عَمَلْتُ بِاطِلًا، وَبَنَيْتُ بِاطِلًا، وَاهْتَمَمْتُ بِاطِلًا. فَمَا يَنْبَغِي أَنْ تَهْتَمُّوا بِهِ فِعْلًا هُوَ أَوْلَادُكُمْ." وَهُوَ يَخْتَتِمُ هَذَا الْمَزْمُورَ بِصُورَةٍ مَجَازِيَّةٍ عَمِيقَةٍ، يُخْبِرُنَا فِيهَا أَنَّ الْأَهْلَ بِالنَّسْبَةِ لِلْأَوْلَادِ، هُمْ مِثْلُ الْقَوْسِ بِالنَّسْبَةِ لِلْسَهْمِ بَيْنَ يَدَيْ مُحَارِبٍ جَبَّارٍ. فَمَقْدَارُ الزَّخْمِ وَالِاتِّجَاهُ الَّذِي يُطَلَّقُ بِهِ قَوْسُهُ السَهْمَ، يَعْتَمِدُ عَلَى مَقْدَارِ الزَّخْمِ وَالِاتِّجَاهِ الَّذِي يَتْرُكُ فِيهِ السَهْمُ قَوْسَ الْمُحَارِبِ.

أَوْلَادُنَا هُمُ السَّهَامُ، وَنَحْنُ الْأَهْلُ الْقَوْسُ الَّذِي مِنْهُ تَنْطَلِقُ السَّهَامُ، أَيُّ أَوْلَادُنَا، إِلَى الْعَالَمِ. عِنْدَمَا نُدْرِكُ التَّحْدِيَّ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا كَأَهْلٍ أَوْ وَالِدِينَ، عَلَيْنَا أَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْعَدِينَ الْمِفْتَاحِيِّينَ، وَأَنْ نَتَذَكَّرَ التَّصْرِيحَ الْقَائِلَ أَنَّهُ لَنْ يُمَكِّنَنَا أَنْ نَبْنِيَّ عَائِلَةً، إِلَّا إِذَا بَنَاهَا الرَّبُّ.

هُنَاكَ تَشْبِيهٌُ مَجَازِيٌّ جَمِيلٌ آخَرَ، يُوضِحُ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، أَنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَبْنِيَّ زَوْجًا وَعَائِلَةً، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَسْتَطِيعُ. فَهُوَ يُعْطِي أَجْبَاءَهُ نَوْمًا، بِحَسَبِ سُلَيْمَانَ. وَبِمَقْدَارِ مَا نَبْقَى سَاهِرِينَ وَنُحَاوِلُ أَنْ نُسَاعِدَ اللَّهَ بِأَنْ يَضَعَ الطَّاقَةَ فِي أَجْسَادِنَا، لَنْ يَتِمَّكَنَ اللَّهُ مِنْ إِعَادَةِ تَرْمِيمِ قُوَّتِنَا الْجَسَدِيَّةِ. وَلَكِنْ، عِنْدَمَا نَسْتَسَلِّمُ سَلْبِيًّا لِلنَّوْمِ، بِإِمْكَانِ اللَّهِ أَنْ يَرْمِمَ أَجْسَادَنَا وَعُقُولَنَا وَعَوَاطِفَنَا وَأَرْوَاحَنَا الْمُتَعَبَةَ.

زَوْجٌ نَوْ جُودَةٌ

وَكَمَا يُوضِحُ هَرْمُنَا، فَإِنَّ الْأَهْلَ الصَّالِحِينَ هُمْ نَتِيجَةُ أَشْخَاصٍ أَتَقِيَاءَ، دَخَلُوا فِي شِرَاكَةٍ مَمْسُوحَةٍ مِنَ اللَّهِ. فَلِكِي يَبْقَى الزَّوْجُ قَوِيًّا، وَلِكِي يَكُونُ الْأَهْلُ فَعَالِينَ وَنَاجِحِينَ فِي تَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِمْ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فِي مَرْكَزِ الْعِلَاقَةِ الزَّوْجِيَّةِ. فَلَنْ نَسْتَطِيعَ أَنْ نَنْجَحَ فِي لَعِبِ دُورِنَا فِي الزَّوْجِ وَالْعَائِلَةِ إِلَّا بِمُسَاعَدَةِ اللَّهِ.

هَذَا مَا نَرَاهُ بِوُضُوحٍ فِي مَتَى ١٩، حَيْثُ سُئِلَ يَسُوعُ عَنِ الزَّوْجِ وَالطَّلَاقِ. لَقَدْ إِعْتَرَفَ أَنَّ مُوسَى سَمَحَ بِالطَّلَاقِ، وَلَكِنَّ هَذَا كَانَ لِجَمَاعِيَّةِ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي كَانَ أَزْوَاجُهُنَّ يَرْمُونَهُنَّ فِي الشُّوَارِعِ. فَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ، لَمْ يَكُنْ لَدَى النِّسَاءِ آيَةٌ حُقُوقَ، وَلَا مَأْوَى. فَمَنْ مُنْطَلَقَ الْعَطْفِ عَلَى

النساء، أعطى موسى لبني إسرائيل كتاب الطلاق، ولكن هذا لم يكن أبداً قصد الله، بالنسبة ليسوع. ولكن قصد الله منذ البدء هو أن لا يكون هناك طلاق.

ثم قال أحد الرسل الذي أظن أنه بطرس، "إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج" (متى ١٩: ١٠).

فأجاب يسوع، "ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم" (عدد ١١) - بكلمات أخرى، فقط أولئك الذين يؤثرونهم الروح القدس يستطيعون أن يفهموا هذا التعليم. فبدون مساعدة الله، قال يسوع، لا يمكنك أن تكون شريكاً زوجياً ملائماً.

يخبرنا سليمان أننا بدون الله، لا نستطيع بناء بيوتنا. وبدونه نتعب عبثاً. ولن نستطيع أن نكون أهلاً لملائمين بدون مساعدة الله. ولن نستطيع أن نكون شركاءً لملائمين بدون عون الله. وكل تعليم كلمة الله هو أننا لن نقدر أن نكون أشخاصاً ملائمين بدون مساعدة الله. فالمولود من الجسد جسد هو، بحسب يسوع (يوحنا ٣: ٦). والجسد هو الطبيعة الإنسانية بدون مساعدة الله. ولقد أخبرنا يسوع أننا بدون الله لا نستطيع أن نعمل شيئاً. (يوحنا ١٥: ٥).

فاذا أردت أن يكون لديك زواج أمام عيني الله، ذلك الزواج الذي يجمعه الله، ويقدر أن يحفظه، ذلك الزواج الذي يحقق مقاصد الله للزواج والعائلة،

صلِّ هذه الصلاة:

أيها الأب السماوي المحب، بارك هذا البيت. بارك بيتنا بنور حضورك، وبمحبّة روحك عزز علاقتنا ليصبح هذا المنزل بيتاً حقيقياً. إشفنا لكي تكون عندنا علاقة سليمة، ولكي نكون أهلاً محبين وحكماء. أظهر لنا كيف نصل إلى نعمتك كل يوم. نُصلي حتى يُعمل كل شيء هنا في المسيح، وبه وله. ولتكن حياة وقوة المسيح الحيّ المقام مصدر قوة وقيادة لنا، لكي نكون ممثلي المسيح في خروجنا ودخولنا، وخاصةً عندما نعيش معاً ضمن جدران هذا البيت. وإذ نعيش حياة ومحبّة ونور المسيح يوماً بعد الآخر، اجعل من هذا البيت منارة يُرشد جميع الذين يأتون تحت سقفه إلى ذلك الذي جمع هذا البيت ويحفظه بكلمته، بروحه، وبنعمته. بإسم يسوع، أيها الأب، بارك هذا البيت. آمين.

الفصل الثاني

الزواج في نظر الله

هناك مقطع في الأناجيل حيث نجد يسوع يُقدِّم تعليماً واضحاً حول موضوع الزواج والطلاق. لقد سبق وأشرت إلى هذا المقطع، ولكن ينبغي أن أرجع إليه الآن، لأنه يُقدِّم لنا إقتباس يسوع من موسى، ويُعطينا أجوبة العهدين القديم والجديد "عمّا هو الزواج في نظر الله؟"

"وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب. فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى. وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الإثنين جسداً واحداً. إذا ليسا بعداً اثنين بل جسداً واحداً. فالذي جمعه الله لا يفترقه إنساناً."

"قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يُعطى كتاب طلاق فتطلق. قال لهم إن موسى من أجل مساواة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم. ولكن من البدء لم يكن هكذا. وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني."

قال له تلاميذه إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج. فقال لهم ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أُعطي لهم. " (متى ١٩ : ٣-١١)

الزواج هو علاقة بتدبير العناية الإلهية

الرابط الأول من الروابط السبعة من هذه العلاقة، كما أشرنا في الفصل الأول، هو أن هناك بعداً بتدبير العناية الإلهية في العلاقة بين رجل وامرأة. في إصحاح الخلق في الكتاب المقدس، نرى الخالق يجمع معاً ذكراً وأنثى في علاقة "وحدة". ولقد عرف يسوع الزواج في نظر الله عندما قال، "فالذي جمعه الله لا يفترقه إنساناً." إن الزواج هو زواج في نظر الله، عندما نستطيع أن نقول أن الرب هو الذي جمع رجلاً وامرأة معاً. إن الإرشاد الإلهي ينبغي أن يكون أساساً لإتخاذنا لقرار الزواج.

إن العلاقة هي بتدبير العناية الإلهية لأن الله هو الذي جمع هذه العلاقة معاً، عندما أعطى خطة هذه العلاقة في كلمته. فلقد جمع الله هذين الشريكين معاً عندما جعلهما جسداً واحداً، ويُخبرنا يسوع أن الله وحده يستطيع أن يُبقي هذا الرجل والامرأة معاً.

وبما أن كُلَّ شريكٍ يأتي بمشاكله إلى العلاقة الزوجية، فإنَّ التحديَّ الموضوع أمامنا هو أن نرى ذواتنا في زيجاتنا – أي الأدوار، المهمَّات، والمسؤوليات المُلقاة على عاتقنا. نحتاج أن نرى المساهمة التي يُفترضُ بنا أن نقومَ بها تجاه الزواج، وأن نتأكَّد من كوننا نقومُ بها. وبالعكس، نحتاج أن نتحمَّلَ مسؤوليَّةَ المشاكل التي تأتي بها إلى الزواج.

الزواج هو علاقة دائمة

إستناداً إلى تعليم يسوع في متى ١٩، نرى أن الزواج هو بالضرورة رابطٌ دائمٌ مُستمر. لماذا ينبغي أن يكون الزواج رابطاً دائماً؟ الجواب هو بكلمتين: حقوقُ الأولاد.

أندكرُون الإيضاح البليغ عن الزواج الذي يُعطينا إيَّاه سليمان في مزمو ١٢٧؟ فالأهل بالنسبة للأولاد هم مثل القوس بالنسبة للسهم. ومقدارُ الزخم والإتجاه اللذين ينطلقُ بهما الأولادُ إلى الحياة يعتمدُ على السهم الذي أُطلقوا منه. الآن، لو كُنْتَ أنتَ مكانَ الشيطان، وأردت أن تُدمِّرَ العائلة، فماذا كُنْتَ ستفعلُ؟ أما كُنْتَ ستسارعُ لتقطعَ وترَ هذا القوس؟ هذا تماماً ما يفعله الشيطان. فهو مُنشغلٌ بمحاولةِ تدميرِ العائلات، وذلك بقطع وتر هذا القوس.

إن قانونَ الحياة كما وضعه الله للزواج والعائلة هو واحدٌ من أعظم نواميس الله في الكتاب المقدس، لأنه يخلقُ ذلك المنزل وتلك العائلة التي تُنجبُ تلقائياً أولاداً وتربِّيهم عشرين سنةً قبل أن يخرجوا إلى العالم ويواجهوا الحياة. والأولاد بحاجة لفترة التنشئة هذه. ولكن عندما تقطع وتر القوس، وعندما ينتهي زواج ما، فأنت تحرمُ الأولاد من فترة التربية والأمان والإتجاه، التي قصدها الله عندما وضع قانونَ الزواج والعائلة في الإصحاحات الأولى في الكتاب المقدس. هذه إحدى أكبر المشاكل التي يُعاني منها الأطفال اليوم. قال مُرشِدٌ عجوز، في الثامنة والسبعين من عُمره، بعد أن قضى حياته في تقديم الإرشاد للمراهقين، "هذه أول مرّة في تجربتي في الإرشاد، أمرُّ بهذه المرحلة حيث يكونُ أصعبُ سؤالٍ أواجهه هو سؤالُ الأولاد: كيف نستطيع أن نُبقيَ أهلنا مُتَّحدين معاً؟"

لهذا قال يسوع أن الزواج ينبغي أن يكونَ علاقةً مُستمرّةً. فأمانُ أولادكم هو من أمانِ زواجكم. وهم يعرفون هذا بحسبهم. فإن كُنْتَ تُريدُ أن ترى نظرة رُعبٍ وهلعٍ على وجوه أولادك، تطلّع إلى وجوه أطفالك عندما تتجادلُ بعنفٍ مع زوجتك. فعندما يُشاهدان أباهم وأُمَّهُم يتعاركان، يزولُ شعورُهم بالأمان. من جهةٍ أُخرى، إذا أردت أن ترى السعادة ترتسمُ على وجوههم، قَبِّلْ زوجتك بِمحبَّةٍ وحنانٍ أمام أولادك. قد يُعلِّقون ما زجرتك، ولكن لا يُزعجك هذا الأمر، لأنَّ رؤيتهم للحُبِّ والحنان يُعجبُ أولادك كثيراً، يجعلهم يعرفون أن زواجكم يسيرُ على ما يُرام. وهذا يعزِّزُ شعورهم بالأمان.

أحياناً يكونُ الناسُ في زواجهم الثاني أو الثالث قبل أن يتعرّفوا إلى الإيمان بالمسيح. وعندما يأتون للإيمان يكونون في زواجٍ آخر، ولديهم أولاد من زيجاتٍ سابقة. فكيف ينطبقُ عليهم تعليمُ يسوع عن الطلاق؟

إنَّ يسوعَ يُمرّرُ دائماً ناموسَ الله في عدسةِ محبةِ الله، قبل أن يُطبِّقه على حياةِ الناس. الفرقُ بينهُ وبينَ ديانةِ عصرِهِ، هو أن يسوعَ لم يفقدَ أبداً رؤيةَ الحقيقة أن ناموسَ الله خرجَ من قلبِ محبةِ الله للإنسان. إنَّ قصدَ ناموسِ الله في الكتابِ المقدَّس هو التعبير عن محبةِ الله للإنسان. فاللهُ يُريدنا أن نحصلَ على هذا بأفضلِ طريقةٍ ممكنة. لهذا أعطانا كلمتهُ المقدَّسة. فهو لم يكنُ يُحاول أن يجدَ طريقةً يجعلنا بها غيرَ سعداء بوضعِ كلِّ هذه النواميس على كاهلنا. بل أرادنا أن نكونَ سعداء، وهناك قصدٌ وراءَ كلِّ ناموسٍ من الله في كلمتهِ، ألا وهو خيرُ الإنسان لأنَّ الله يُحبه.

أما عن الفريسيين، أي رجالِ الدِّين، فلقد فقدوا هذه البصيرة أو الرؤية لروحِ الناموس. وكانوا يتمتَّعونَ بأمسالكِ الناسِ الذين زلُّوا وكسروا حتَّى ولو وصيةً واحدةً من الناموس. أمَّا يسوع فلم يفقدَ رؤيةَ قصدِ أبيهِ السماوي، عندما أعطى الناموس من خلالِ موسى. بل دائماً كان يسوعُ يسألُ أتباعه، "لماذا أعطى الله هذا الناموس؟ وبأيِّ معنى يُفترَضُ بهذا الناموس أن يُعبَّرَ عن محبةِ الله للإنسان ولخيرِ الإنسان؟"

فمثلاً، الهدفُ من قانونِ الزواجِ والعائلة هو أن يكونَ لدينا بيتٌ مسيحيٌّ سعيد. نقرأ في سِجِلِ الخلقِ أنَّه ليسَ حسناً أن يبقى الإنسانُ وحده. هذا جعلَ الله يَضَعُ الأشخاصَ المُستوحِدين في عائلات (مزمور 68: 6). فهو لا يُريدنا أن نكونَ لَوَحِدنا. (المزید من المعلومات حولَ هذا الموضوع أنظرَ الفصلَ السادس من هذا الكُتیب).

الزواجُ هو علاقةٌ حصريَّة

ليسَ الزواجُ فقط علاقةٌ بتدبيرِ النعمةِ الإلهية، وعلاقةٌ دائمة، ولكن بحسبِ يسوع وموسى، هو بالضرورةِ علاقةٌ حصريَّةٌ مُعلَّقة. فرابطُ الزواجِ بينَ رجلٍ وامرأة هو حصريٌّ مُغلَقٌ بِمعنيين. كتبَ موسى يقول، "لهذا يتركُ الرجلُ أباهُ وأُمَّهُ..." ولقد وافقَ يسوعُ معَ موسى عندما أعطى تصریحَهُ الحاسمَ عن الزواجِ والطلاق (متى 19: 5). فالزواجُ يستقصي أهلَ الزَّوجين. هذا لا يعني أنَّه لا يعودُ بإمكانك أن تكونَ لك علاقةٌ طيبة معَ والديك بعدَ أن تتزوَّج. بل يعني أنَّك لن تبقى لتعيشَ معهما. وبالنسبةِ لكِ كامرأة، لم يعدُ أبوكِ رأسك الروحي، بل زوجك.

إن الزواج هو حصريٌّ أيضاً لكونِهِ حميماً. قال يسوع أن الزواج هو مثل عقد بين رجلٍ وامرأة. أحدُ شروطِ هذا العقد هو أنَّه مؤسسٌ على الحصريَّة، أي إستقصاء الآخرين. عندما

تُنْتَهَكُ حُرْمَةُ الْحَصْرِيَّةِ، يُصْبِحُ عَقْدُ الزَّوْجِ فَارِغاً مِنْ مُحتَوَاهِ. لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يُصْبِحَ هَكَذَا، وَلَكِنْ هَذَا مُحْتَمَلٌ. إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُخَطِّطْ لِهَذِهِ الْعِلَاقَةِ بِطَرِيقَةٍ أَنْ يَعِيشَ الشَّرِيكُ مَعَ الشَّرِيكِ الْآخَرَ الَّذِي لَا يُحَافِظُ عَلَى مَبْدَأِ الْحَصْرِيَّةِ. اللَّهُ لَا يَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَعْمَلَ ذَلِكَ. فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الشَّرِيكُ الْآخَرَ مُوَافِقاً عَلَى الْعِيشِ بِحَصْرِيَّةٍ مَعَكَ فِي هَذِهِ الْعِلَاقَةِ، يُمَكِّنُكَ أَنْ تَعْتَبِرَ هَذَا الْعَقْدَ بَاطِلاً وَفَارِغاً مِنْ مَعْنَاهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَعُدْ حَصْرِيّاً.

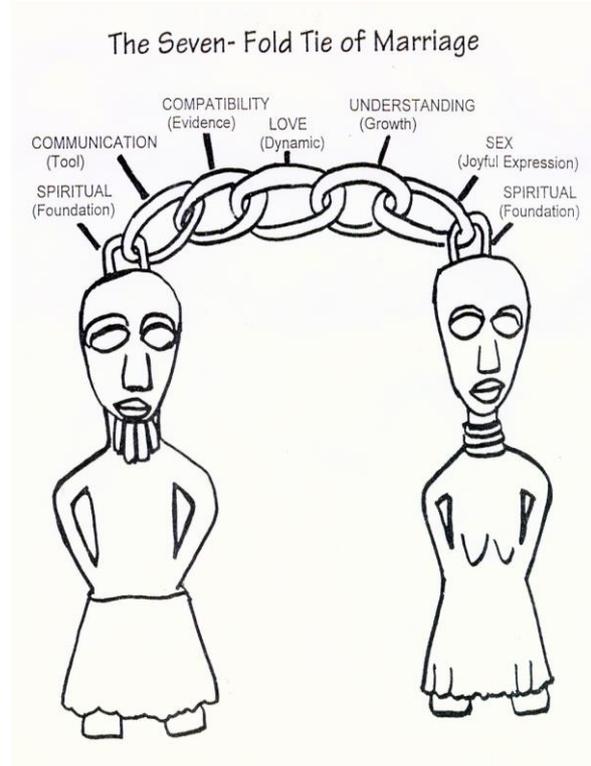
ذاتَ يَوْمٍ، جَاءَ شَابٌّ لِمُقَابَلَتِي، وَكَانَ يَعْمَلُ فِي فُنْدُقٍ قُرْبَ شَاطِئِ الْمُحِيطِ، وَلَيْسَ بَعِيداً عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتُ أُحْدِمُ فِيهِ كَقَسَبِيْسٍ. كَانَ قَدْ التَّقَى بِفَتَاةٍ خِلَالَ الصَّيْفِ، فَأَحَبَّهَا كَثِيراً. وَعِنْدَمَا انْتَهَى الصَّيْفُ، رَجَعْتُ هِيَ إِلَى الْكَلِيَّةِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِي لِمُزَارَاتِهِ كُلَّمَا سَنَحَتِ الْفُرْصَةَ. وَذَاتِ نَهَائِهِ أُسْبُوعٍ مُعَيَّنٍ، لَمْ تَأْتِ لِمُزَارَاتِهِ. ثُمَّ اتَّصَلْتُ بِهِ عَلَى الْهَاتِفِ وَقَالَتْ لَهُ أَنَّهَا لَنْ تَعُودَ لِمُزَارَاتِهِ ثَانِيَةً.

فَجَلَسَ فِي مَكْتَبِي وَأَجْهَشَ بِالْبُكَاءِ مَكْسُورِ الْقَلْبِ. وَفِي النِّهَايَةِ قَالَ لِي، "أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ فِي عِلَاقَةٍ كَهَذِهِ عِنْدَمَا تَكُونُ الْمَشَاعِرُ عَمِيقَةً وَحَمِيمَةً جِداً، يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ جِمَائِيَّةً لِهَذِهِ الْعِلَاقَةِ." فَهُوَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَضَعَ كُلَّ مَشَاعِرِهِ فِي عِلَاقَةٍ غَيْرِ أَمِينَةٍ يُمَكِّنُ أَنْ تَنْتَهِيَ بِمُجَرَّدِ مُلَاحَظَةِ مَكْتُوبَةٍ عَلَى قُصَاصَةٍ وَرَقَةٍ تُلْقَى مِنْ تَحْتِ الْبَابِ، أَوْ بِمُجَرَّدِ إِتِّصَالِ هَاتِفِي، أَوْ حَتَّى الْإِنْقِطَاعِ عَنِ الْإِتِّصَالِ. لَقَدْ كَانَ حَاضِراً أَنْ يَسْمَعَ أَنَّ خَطَّةَ الْعِلَاقَةِ الزَّوْجِيَّةِ كَمَا وَضَعَهَا مُوسَى وَيَسُوعُ، تُطَالَبُ بِهَذَا الضَّمَانَاتِ الَّتِي كَانَ الشَّابُّ يُدَافِعُ عَنْهَا.

اللَّهُ لَا يُرِيدُكَ أَنْ لَا تَشْعُرَ بِالْأَمَانِ فِي عِلَاقَةٍ حَمِيمَةٍ كَالزَّوْجِ. لِهَذَا جَعَلَ كُلُّ مَنْ مُوسَى وَيَسُوعُ الْحَصْرِيَّةَ شَرْطاً لِعَقْدِ الزَّوْجِ.

الفصل الثالث

الروابط السبع للوحدة



الرابطُ السُّباعيُّ للزواج

الرابطُ الرُّوجيُّ (الأساس)

رابطُ الإِتِّصال (الأداة)

رابطُ الإنسجام (البُرهان)

رابطُ الحُبِّ (الديناميكية)

رابطُ التفاهم (النُّمُو)

رابطُ الجنس (بهجة التعبير)

الرابطُ الروحيُّ (الأساس)

قام أحدُ المؤمنينَ الإفريقيينَ الأتقياءَ بنَحْتِ رمزٍ جميلٍ يُظهرُ العلاقةَ التي أرادها اللهُ عندما خلقَ الشريكينَ الزوجيينَ الأولينَ، وأعلنَهُما جسداً واحداً. عندما نحتَ هذا المؤمنُ الموهوبُ منحوتتهُ الخشبيةَ هذه، كانَ يوضِّحُ سبعَ طُرُقٍ من خلالها يستطيعُ الزوجُ والزوجةُ أن يكونا واحداً.

إن منحوتتهُ الجميلةُ هذه هي عن رَجُلٍ وإمرأةٍ منحوتانِ من الخشبِ، ويتَّصلانِ ببعضهما البعضِ بسلسلةٍ مؤلَّفةٍ من خمسِ حلقاتٍ مُزدوجةٍ. إن هذه السلسلةُ التي تجمعُ بينَ هذينَ الزوجينَ معاً، تتَّصلُ من كُلِّ طرفٍ بحلقةٍ على رأسِ كُلِّ من الزوجينِ. إن كلاً من هذه الحلقاتِ تُشيرُ إلى بُعدٍ من أبعادِ الوحدةِ التي أرادَ اللهُ أن يتمتعَ بها الزوجُ والزوجةُ. إن حلقاتِ الربطِ المُتنبَّئةِ على رأسيهما تُشيرُ إلى العلاقةِ الروحيةِ التي يتمتعانِ بها معَ اللهِ. وكونُ كُلِّ الحلقاتِ الأخرى مربوطةً بحلقتي الربطِ هاتينِ، يُشيرُ إلى كونِ علاقتهما الروحيةَ هي أساسُ وحدتهما.

تُشيرُ حلقةُ الربطِ الأولى إلى الإتِّصالِ، الذي هو الأداةُ التي تمكِّنُ الزوجينَ من صيانةِ وحدتهما. حلقةُ الربطِ التالية هي الإنسجامُ أو التوافقُ، الذي هو بُرْهانُ الوحدةِ. الحلقةُ الوسطى في هذه الحلقاتِ الخمسِ تُشيرُ إلى المحبةِ، التي هي ديناميكيةٌ وحدتهما. وتتبعُ حلقةُ المحبةِ حلقةَ التفاهمِ، الذي يُشيرُ إلى نُموِّ وحدتهما. وأخرُ حلقاتِ الربطِ المُزدوجةِ هذه، والتي تجعلُ منهما جسداً واحداً، هي الجنسُ، الذي هو بهجةُ التعبيرِ عن وحدتهما. إن حقيقةَ كونِ كُلِّ حلقاتِ الربطِ هذه مُزدوجةً تُشيرُ إلى حقيقةِ كونِ كُلِّ أبعادِ هذه الوحدةِ مُتبادلةً، أو أنَّها تتطلبُ العطاءَ والأخذَ بينهما. عندما تُضيفُ هذه الحلقاتِ الخمسِ إلى حلقاتِ الربطِ المُتنبَّئةِ على رأسيهما، ترى الروابطِ السبعِ للوحدةِ.

إن برامِجنا الإذاعيةَ حولَ الزواجِ والعائلةِ مبنيةٌ على أبعادِ الزواجِ السبعةِ، المُشارُ إليها بالروابطِ السبعةِ التي تجعلُ من هذا الرجلُ وهذه المرأةُ جسداً واحداً. وسوف أُقدِّمُ لكم في كُتَيْبَيْنِ، تلخيصاً لما سمعتموه في هذه البرامِجِ الإذاعيةِ حولَ قانونِ الزواجِ والعائلةِ.

الرابطُ الروحيُّ

يعتقدُ الكثيرونَ من مُفسِّري الكتابِ المقدَّسِ أنَّ سليمانَ كانَ يُشيرُ إلى الزواجِ عندما قالَ في جامعة ٤: ١٢ أن الحبلَ المثلوث لا ينقطعُ سريعاً. فالحبلُ المثلثُ يصعبُ قطعُهُ، لأنَّ خيطانهُ مُتداخلةٌ.

عندما خطَّ اللهُ لهذا الرابطِ بينَ الرجلِ والمرأةِ، الذي ينبغي أن يكونَ إلهياً، دائماً، حصرياً، قصَدَ لهما اللهُ أن يكونا واحداً مع بعضهما البعضِ، وواحداً مع خالقهما. بهذه الطريقةِ خطَّ اللهُ للزواجِ أن يكونَ. هناكُ صورةٌ مجازيةٌ جميلة، لا نزالُ نجدُها على

قُبُورِ بعضِ الأطفالِ في أَيَّامِنَا، "لَتَكُنْ نَفْسُكَ مَحْزُومَةً فِي حُزْمَةِ الْحَيَاةِ مَعَ الرَّبِّ إِلَهِكَ." (١ صموئيل ٢٥: ٢٩). هذه الآيةُ مُناسِبَةٌ لَتَكُونَ شِعَاراً نَكْتُبُهُ عَلَى كُلِّ زَوْاجٍ فِي نَظَرِ اللَّهِ الْيَوْمِ. إِنَّ الْحَبْلَ الْمُتَلَوَّثَ فِي تَشْبِيهِهِ سُلَيْمَانَ الرَّائِعِ لِرُبَّمَا يُشِيرُ إِلَى زَوْاجِ شَرِيكَيْنِ مُؤْمِنِينَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ: الزَّوْجِ، الزَّوْجَةِ، وَالْمَسِيحِ.

فِي إِصْحَاحِ بُولُسِ الْعَظِيمِ عَنِ الزَّوْاجِ فِي ١ كُورِنْثُوسَ ٧، يُقَدِّمُ نَصِيحَةً لِلزَّوْاجِ الْأَتْقِيَاءِ بِأَنْ يَعْتَزَّلَا عَنْ بَعْضِهِمَا جَسَدِيًّا لِمَرَاغِلِ قَصِيرَةٍ، لِكَيْ يَنْفَرَّغَا لِلصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ. وَهُوَ يَتَكَلَّمُ هُنَا عَنِ الْعِلَاقَةِ الْجِنْسِيَّةِ لِهَٰذَيْنِ الزَّوْجَيْنِ. وَحُجَّتُهُ هِيَ بِكُلِّ وُضُوحٍ أَنَّهُ بِعِلَاقَتِهِمَا الْجِنْسِيَّةِ سَوْفَ تُعَزَّرُ وَحَدَّتُهُمَا بِوَحْدَتِهِمَا الرُّوحِيَّةِ مَعَ خَالِقِهِمَا (١ كُورِنْثُوسَ ٧: ٣-٥).

سَوْفَ أَتَكَلَّمُ عَنِ الْوَحْدَةِ الْجَسَدِيَّةِ فِيمَا بَعْدَ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُقَدِّمَ الْآنَ بَعْضَ الْمُلَاحَظَاتِ عَمَّا يَقْصُدُهُ بُولُسُ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ عَنِ الْعِلَاقَةِ الْأَكْثَرِ حَمِيمِيَّةً فِي حَيَاتِكَ. إِنَّ الْعِلَاقَةَ الْأَكْثَرِ حَمِيمِيَّةً وَشَخْصِيَّةً فِي حَيَاتِكَ هِيَ لَيْسَتْ عِلَاقَتَكَ مَعَ شَرِيكَةِ حَيَاتِكَ بَلْ مَعَ اللَّهِ. يُعَلِّمُ بُولُسُ أَنَّ عِلَاقَتَنَا مَعَ اللَّهِ هِيَ دَائِمًا حَمِيمَةٌ، فَرْدِيَّةٌ، وَشَخْصِيَّةٌ.

فَإِنْ كَانَ الزَّوْاجُ قَدْ تَعَزَّرَ بِإِعْتِزَالِنَا عَنْ بَعْضَيْنَا كَزَوْجَيْنِ وَإِقْتِرَابِنَا مِنَ اللَّهِ، هَذَا يَعْنِي أَنَّ حَتَّى بَعْدَ وَحَدَّتِنَا الرُّوحِيَّةِ، لَا تَزَالُ عِلَاقَتُنَا فَرْدِيَّةً مَعَ اللَّهِ. فَعَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نُقَدِّمَ حِسَابًا عَنِ أَنْفُسِنَا أَمَامَ اللَّهِ، وَلَيْسَ عَنِ شُرَكَاءِ حَيَاتِنَا. وَسَوْفَ نَقْفُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الدِّينُونَةِ كَأَفْرَادٍ، وَلَيْسَ مَعًا كَزَوْجٍ وَزَوْجَةٍ. إِنَّ زَوْاجَ شَخْصَيْنِ مُؤْمِنِينَ يَكُونُ قَوِيًّا أَوْ ضَعِيفًا بِمَقْدَارِ مَا تَكُونُ وَحْدَةٌ كُلٌّ مِنْهُمَا فَرْدِيًّا قَوِيَّةً مَعَ اللَّهِ. فَإِنْ كَانَ لَدَى الرَّجُلِ إِيمَانًا قَوِيًّا وَكَانَ مُتَّحِدًا مَعَ الْمَسِيحِ، وَإِنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَتَمَتَّعُ بِنَفْسِ النَّوْعِ مِنَ الْعِلَاقَةِ مَعَ اللَّهِ، عِنْدَهَا، عِنْدَمَا يَجْتَمِعَانِ مَعًا، يَكُونُ لَدَيْهِمَا قَاسِمًا مُشْتَرَكًا - لَدَيْهِمَا الْبُعْدُ الرُّوحِي فِي زَوْاجِهِمَا، الَّذِي سَيُعَزِّرُ كَثِيرًا عِلَاقَتَهُمَا مَعَ بَعْضِهِمَا الْبَعْضِ.

عِنْدَمَا يُوَاطِبُ كُلُّ مِنَ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ عَلَى فِتْرَةٍ صِلَاةٍ فَرْدِيَّةٍ، وَتَأْمُلُ فِي كَلِمَةِ اللَّهِ، سَيُسَاعِدُهُمَا هَذَا عَلَى مُوَاجَهَةِ الْأَوْقَاتِ الصَّعْبَةِ فِي حَيَاتِهِمَا. فَمِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ، قَدْ يَغْضَبَانِ مِنْ بَعْضِهِمَا الْبَعْضَ بِسَبَبِ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ مُعَيَّنٍ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا يَرْجِعَانِ مِنْ خُلُوتِهِمَا مَعَ اللَّهِ، سَيَكُونَانِ فِي سَلَامٍ مَعَ الرَّبِّ وَمَعَ بَعْضِهِمَا. فَإِذَا يَفْتَرَّبَانِ كِلَاهُمَا إِلَى الرَّبِّ، وَيَمْضِيَانِ فِي طَرِيقِهِمَا عَبْرَ النَّهَارِ، سَيَخْتَبِرَانِ تَقَارُبًا مُتَنَامِيًّا نَحْوَ اللَّهِ وَنَحْوَ بَعْضِهِمَا الْبَعْضِ.

فَإِنْ لَمْ تَكُونَا قَرِيبَيْنِ مِنْ بَعْضِكُمَا بِمَقْدَارِ مَا تَرَعْبَانِ، إِقْتَرِبَا فَرْدِيًّا إِلَى اللَّهِ. هَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ الَّتِي صُمِّمَ رِبَاطُ الْوَحْدَةِ بِهَا لِتَقْوِيَةِ الزَّوْاجِ. وَبِمَا أَنَّ الزَّوْجَ وَالزَّوْجَةَ لَدَيْهِمَا رَابِطُهُمَا الرُّوحِي مَعَ اللَّهِ، يَنْبَغِي أَنْ أَقُولَ أَنَّ هَذِهِ الرُّوَابِطُ الرُّوحِيَّةُ هِيَ أَسَاسُ الزَّوْاجِ الَّذِي خَطَّ لَهُ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ.

الفصل الرابع

رابط الإتصال

عندما يأتي زوجان إلى راعي كنيستهما طالبين الإرشاد الزوجي، أجد أول الأمور التي يركزان عليها هي مشكلة الإتصال. فعادةً يبدأ الزوجان جلسة الإرشاد بالقول، "ليس لدينا إتصال أو تفاهم. نحن لا نتواصل."

إن الإتصال هو واحد من الروابط التي تساعد ديناميكياً الإثنين ليصبحا جسداً واحداً، لأنه أداة تمكنهما من العمل على وحدتهما. كمؤمنين بالمسيح، لدينا وحدة مع المسيح. والوحدة مع المخلص لا تهتم فقط بنفسها، بل ينبغي صيانتها وتغذيتها. لهذا عليك أن تقضي وقتاً مع الرب يومياً في الصلاة وقراءة الكلمة. هكذا نحافظ ونغذي علاقتنا مع المسيح، بواسطة الإتصال معه بالصلاة والإستماع لصوته عندما نفتح الكتاب المقدس.

الأمر نفسه يصح على الزواج. فعليك العمل على وحدتك، وأن تصونها وتغذيها. والإتصال أو التفاهم هو الأداة التي يستطيع الزوجان إستخدامها لتغذية وصيانة وحدتهما. معظم البكتيريا تتكاثر في الظلام، ولا تستطيع العيش في النور. إن كان شخصان لا يتكلمان ولا يتفاهمان، فالكثير من البكتيريا سوف تتكاثر بينهما. لهذا يحضنا بولس بأن نطرح عنا خفايا الخزي (٢ كورنثوس ٤: ٢). فعندما لا نكون صادقين مع بعضنا، ونخفي أشياء عن بعضنا، نبقى على البكتيريا في الظلام. الإتصال هو إلقاء الضوء على علاقتنا. فعندما نلقي الضوء، تموت الكثير من البكتيريا في علاقتنا. وبواسطة إتصال جيد، نستطيع مواجهة التي لا تموت منها، إذ يتحول ضوء إتصالنا إلى أداة لتغذية وصيانة وحدتنا.

تعرف القواميس الإتصال بأنه "إعطاء وأخذ المعلومات، الرسائل، والأفكار، بواسطة الكلام والحركات والوسائل الأخرى." يُخبرنا هذا التعريف ببضعة أمور عن الإتصال. أولاً، ليس هناك ما يُسمى "عدم إتصال." فعندما يقول الناس، "نحن ليس لدينا إتصال"، فهذا غير صحيح. فنحن دائماً نتواصل، ولكن الفرق هو بآية وسيلة أو طريقة نتواصل؟ بواسطة الكلام؟ بالحركات؟ أم بوسائل أخرى؟

يقول تعريف الإتصال أيضاً أن هناك مجالان للإتصال هما العطاء والأخذ. قالت امرأة مرة، "وكان زوجي يعيش في جزيرة الغاز، وأنا أدور حولها منذ عشرين سنة دون أن أجد مرفأً أرسى سفينتي عليه."

تصور أنك أنت وزوجتك على جزيرتين متباعدين، ولا يمكنكما الإتصال إلا بواسطة جهاز اللاسلكي. فلكي يكون هناك إتصال، ينبغي أن يقوم أحد الزوجين بالعطاء أو بإرسال الإشارة، وأن يقوم الزوج الآخر بأخذها أو بإستقبالها. أحياناً ترجع مشكلة الإتصال إلى كون

أحد الزوجين أو كلاهما معاً لا يديران جهاز الإرسال ولا يُرسلان أية إشارةٍ للآخر. وأحياناً عندما يُرسلان اتصالات، تكون الرسالةُ مُشوَّشةً. وهناك أوقاتٌ عندما ترجعُ مشاكلُ الإتصالِ إلى كون واحدٍ من الزوجين أو كلاهما لا يديران جهازَ الإتقاط، أو عندما يُديرانِه، لا يكونُ موضوعاً على موجةِ إرسالِ الآخر.

لهذا فإن طريقةَ إستقبالِ الإتصالِ هي مُهمّةٌ بمقدارِ أهميّةِ إرسالِ الإتصالِ. عندما تخرجُ السُلخُفاتُ من حُجرتِها العظيمةِ لكي تمشي، إذا وَطئتَ عليها، ترجعُ لتختبئَ في داخلِ حُجرتِها وتبقى هناكُ لوقتٍ طویل. وهكذا نحنُ البشرُ أيضاً. تصوّرُ أنّك تُشاركُ مع زوجتكُ أموراً شخصيّةً عميقةً عن نفسك. فإن لم يتمَّ إستقبالُ إتصالكُ بشكلٍ جيّد، فسوفَ ترجعُ أنت لتختبئَ في حُجرتكُ السُلخُفاتيّةِ ولن تخرجَ منها لوقتٍ طویل.

فإن لم يكنُ بإمكانكُ الإتصالِ، لا تكونُ لديكُ الوسائلُ للمحافظةِ على وحدتكُ وتغذيتها. ولن تتمكنَ من العملِ على تحسينِ علاقاتكُ. من المُمكن أن تُحسِنَ إتصالكُ بشكلٍ دراماتيكي، وأن تتمتعَ بهذه الأداة التي تُمكنكُ من العملِ على تحسينِ زواجكُ.

على خلافِ العلاقةِ بينِ الوالدِ أو الوالدةِ والطفل، والتي فُدرَ لها منذُ بدايتها عندُ الولادة أن تتفرّق، فإنّ علاقةَ الزواجِ تجمعُ الشريكين معاً. إنّ هذا هو أشبهُ بجوانبِ الهرمِ التي تلتصقُ ببعضها البعض. فينبغي أن يقتربَ الشريكان إلى بعضهما أكثر. فالإتصالُ يُوقِرُ الأدوات التي تجعلُ من العلاقةِ الزوجيّةِ علاقةً وثيقةً. فإن لم يكنُ لدى الزوجين إتصالٌ، لا تكونُ لديهما الأداة التي أعدّها الله لتأهيلهما للعملِ على تحسينِ علاقتهما.

تظهرُ مشاكلُ الإتصالِ على الأقل في شكلين. أحدهما هو الجدال. فبعضُ الأزواج لا يُمكنُهُم أن يتواجدوا لخمسةِ دقائق بدونِ المُجادلةِ حولِ موضوعٍ مُعيّن. الشكلُ الثاني لمشاكلِ الإتصالِ هو العكسُ تماماً – الصمت. ولكنّ الصمتَ لا يعني دائماً أنّ لديكُ مُشكلةَ إتصال، ولكن غالباً ما تكونُ هذه هي الحال. والناسُ مُختلفون. أشخاصٌ كثيرون لا يشعرون بالراحةِ أمام الصمت. بالنسبةِ لهم، الصمتُ هو أمرٌ غريبٌ مُربك. وهناك أولئك الأشخاصُ الصامتون، الذي لا يشعرون حتّى بالحاجةِ للكلام.

أحدُ أصدقائي المُقرّبين هو الرجلُ الأكثرُ هدوءاً الذي أعرفهُ. ذاتَ يومٍ قالتَ له سيّدة، "ليسَ لديكُ الكثيرُ لتقولهُ، أليسَ كذلك؟" فأجاب صديقي، "دعيني أقولُ لك شيئاً. عندما تكونُ المياهُ عميقةً، تكونُ هادئةً وصامتةً. ولكن عندما تكونُ سطحيةً ضحلةً، فعندها تسمعون خريزها وضجتها." لم يكنُ صديقي يتصرّفُ بفضاظةٍ مع المرأة. ولكنه كان يشرحُ وجهةَ نظره.

فإن كنتَ مُتزوِّجاً من امرأة من نموذج المياه العميقة الهادئة، فهذا لا يعني أن لديك مشكلة اتصال. فأجمل الطُّرُق عندما تكونان معاً هو أن يكون بينكما صلة، التي هي أصل كلمة إتصال. فِيمَكِنُكُما أن تشعُرا بالراحة معاً، وليسَ عليكُما أن تتكلَّما لكي تشعُرا بالراحة. فالصمت لا يُشيرُ دائماً إلى مُشكلة في الإتصال.

ولكنَّ الاحتقار الصامت هو شكلٌ من أشكال الإتصال، وقد يعني أن لديك مشكلة اتصال. فإن كانت زوجتك تُعاملك باحتقارٍ صامت، فهذا يعني أنك أحرزتها، لهذا تُعاملك ببرودة الإحتقار الصامت. قالت سيِّدةٌ كان زوجها يُعاملها بهذه الطريقة، "ينبغي أن نُصغي إليه عن كثب عندما يكفُّ عن الكلام لكي تسمعَ ماذا يقول."

وهكذا فنحن نتواصل بالكلام، بالحركات وبطرقٍ أخرى. وقد تظهرُ هذه الأشكال الأخرى من الإتصال في رمي الصُّحون، وإغلاق الباب بعنف، وضرب الحائط بقبضة اليد. ومن الناحية الإيجابية، تُعتبرُ الإبتسامَةُ، ووضعُ اليد على الكتف، وعَمْرُ الحبيبِ بحنان، والدموع، تُعتبرُ كلها إشاراتٍ وإتصالات. فكما ترى، ليسَ هناك ما يُسمَّى بعدم الإتصال. فأحياناً تتصلُّ بواسطة هذه الحركات والوسائل الأخرى، ورغم ذلك يكونُ إتصالك بليغاً جداً. قال فرنسيس الأسيزي، "في كُلِّ شيءٍ إكرزُ بالمسيح. فقط عندما تكونُ الضرورةُ ماسئةً، إستخدِمُ الكلام." إنَّ الإتصالَ الفعَّال، سواءً أكانَ سلبياً أم إيجابياً، لا يتطلبُ دائماً الكلمات.

دخل أستاذي في الخطابة مرةً إلى غرفةٍ صفِّ كانت تُعْمُه فوضي عارمةً وضجةً لا تُطاق. فتقدَّم نحو الطاولة التي على منبرِ الصفِّ وضربَ بكفه بقوة على الطاولة. فسُمِعَ الصوتُ وكأنه طلقه نارياً، وقال مباشرةً بعد أن ضربَ الطاولة، "أريدُ أعلى قدر من الضجة والفوضى." ولكن سيطرَ صمتٌ مُطبَّق على القاعة. ثمَّ شرَّح لنا الأستاذ ما سبقَ وفعلاً. سبعة بالمائة فقط من الإتصال هو بالكلمات. وخمسة وخمسون بالمائة من الإتصال هو المعنى الذي تقصدُ وضعه في الكلمات التي قيلت، وثمانية وثلاثون بالمائة من الإتصال هو لغةُ الجسد وحركاته التي تُرافقُ الكلمات المَقولة. فهو قال، "أريدُ فوضي عارمة." فلو إكتفى الأستاذُ بالعبارة وحدها لما سيطرَ على الصفِّ، بل لَزادَ الطينَ بلَّةً لو فهمَ الطلابُ ما قاله. ولكنَّ الذي هدأ من ضجةِ الصفِّ هو المعنى الذي أرادَ وضعه في الكلمات التي استخدمَها. فالطريقة التي قال بها "أريدُ فوضي عارمة"، وكأنه كان يقولُ بكلماتٍ أخرى، أريدُ هدوءاً كاملاً في الصفِّ." ومما عززَ هذا هو ضربُهُ بكفه على الطاولة.

بالإختصار

الإتصال ليسَ فقط ما يُقال، بل أيضاً ما يُسمع. الإتصال ليسَ فقط ما يُقال، بل أيضاً ما يُستقبل. الإتصال إذاً ليسَ فقط ما يُقال، بل أيضاً ما يُشعُرُ به على أساس الحركاتِ وأمورٍ

مُماثلة. والاتِّصالُ هو ليسَ فقط ما يُقال، بل أيضاً ما يُوحَى به أو يُلمَّحُ إليه. والاتِّصالُ ليسَ فقط ما يُقال، بل ما يُريدُ الناسُ أن يسمَعُوهُ. إنَّ كُلَّ هذه الأمور تنترُكُ معَ الذي يستَقْبِلُ الرِّسالةَ "إنطباعاً شامِلاً" عن الرِّسالة التي وصلتُهُ بالكلام، بالحركات، أو بأية طَريقةٍ أُخرى.

مشاكلُ الاتِّصالِ

كراعي كنيسة لسنواتٍ طويلة، كُنْتُ أسألُ الأزواج، "هل سبقَ ومرَّت مرحلة اتِّصالٍ جيِّدٍ في حياتِكُما؟" وتقريباً بدونِ إستثناء، كان الجوابُ دائماً "نعم." وهكذا أعطيتُ الكثير من هؤلاء الأزواج واجباً منزلياً يَقومونَ به. فإن كانت مُشكلةُ الاتِّصالِ أنهم توقَّفوا عن الكلام معَ بعضِهما، كُنْتُ أطلبُ منهما أن يكتبُا بصراحةٍ لائحةً بالأسباب التي دعتهما لعدم الكلام معَ بعضِهما. وإن كانا يغضبَنا مثلاً خلال تحدُّثِهما، كُنْتُ أطلبُ منهما أي يكتبُا لائحةً بأسبابِ الغضبِ عندما يتحدَّثانِ معاً. ولقد أَسَمَيْتُ هذه المُشاكلِ "مُعطَّلات حلقة الاتِّصالِ."

وعلى مرِّ السنين، جمعتُ هذه اللوائح ودرستُها. ولقد إكتشفتُ أكثرَ من عشرين مُشكلةً من مشاكلِ الاتِّصالِ الأكثر شُوعاً، بحسب ما استنتجتُ من اللوائح. وإليكم بعضُ هذه المُشاكلِ؛ حاولوا أن تلاحظوا ما إذا كانت بعضُها مألوفةً لديكم:

١- عدم الإهتمام: فمثلاً، تُعبِّرُ المرأةُ لِزوجِها عندما يرجعُ من عمَلِه عن ابتهاجِها بأمرٍ مُسليَّةٍ يعملُها طفلُهما. فهي مَسرورةٌ جدًّا بنمُوِّ الطفل، ولكن زوجها لا يُبدي أيَّ اهتمام. لأنَّ ذهنه لا يزالُ في العمل، أو لأنَّه يقرأ الجريدة. وبالطبع لا أحد يقبل أن يتَّصلَ أو يتكلَّم عندما يُصبحُ يكلمُ ذاته فقط، والآخر لا يسمَع. والأسوأ من ذلك هو عدمُ الإستماع الذي يعنى شيئاً أكثرَ خُطورةً، هو عدم الاكتراث. وكانَّ الزوج يقولُ لِزوجتِه، "أنا لا أبالي بك ولا بالأولاد." وهذا يعني بالنسبة لِلزوجة أن زوجها لا يُحبُّها ولا يُحبُّ الطفل.

٢- عدم المُبادرة. تَدكَّر أنَّ الاتِّصالَ هو عطاءٌ وأخذٌ. فيوماً ما قد يقولُ الزوجُ أو الزوجةُ، "أنا دائماً من يُعطي." أما الطَّرَفُ الآخرُ فلا يُعطي شيئاً. كُلُّ ما يفعله هو أنه يُجاوب." فإن كانَ الاتِّصالُ جسراً، فينبغي على كُلِّ من الزوجِ والزوجةِ أن يمشيَ نصفَ الطريق، لكي يمشيَ الشريكُ الآخرُ النصفَ الثاني. ولكن إن كانَ عليك أن تجتازَ الجسرَ كُلُّهُ بِمُفردِكَ كُلَّ مرَّة، فلا يكونُ هناكُ إتِّصالٌ سليم.

٣- الشريكُ المُشاكِس. قال سُلَيْمان أن المرأةَ المُشاكِسةَ أو المُخاصِمةَ والشتاءَ المُتتابعَ في يومٍ مُمطرٍ هما سيِّان (أمثال ٢٧: ١٥). في الحقيقة، الرجالُ والنساءُ كلاهما موهوبان بالمُشاكِسة. فالشخصُ المُشاكِسُ لديه إستعدادٌ للمُخاصِمةِ في كُلِّ أمرٍ. فعندما تأتيه بِفكرةٍ

جديدة، سوف يقومُ المُشاكِسُ بمقاومتِها. لهذا فالإتصالُ أو الكلامُ معَ شخصٍ مُشاكِسٍ هو أمرٌ في غايةِ الصُّعُوبَةِ، إن لم يكنِ مُستَحيلاً.

٤- الفُشلُ في الاعترافِ بِحاجةِ الزوجِ الآخرِ للوحدة. فإذا كانَ الشريكُ الآخرُ يحتاجُ للانفرادِ أحياناً، فلا يَعْنِي أَنَّ هذا هو انعكاسٌ سَلْبِيٌّ على علاقتكما الحَمِيمَةِ. فلا تَخَفْ من هذا. وتذكَّرْ أَنَّهُ ولو أَصْبَحَ الإثنانِ وِاحِداً في الزواجِ، بمعْنَى مُعَيَّنٍ، فهُما لا يزالانِ إثنينِ.

٥- المشاكلُ الجسديَّةُ، العاطفيَّةُ، والروحيَّةُ في أحدِ الزوجينِ أو في كليهما. عندما تكونُ هذه هي الحالُ، لن تكفي أَيْةٌ دِراسةٌ للإِتصالِ لِحلِّ هذه المشاكلِ. فحُلُولُ هذه المشاكلِ يَنْبَغِي أَنْ تُوجَدَ رُوحياً، جسدياً، وعاطفيّاً، عادةً خارجَ العلاقةِ الزوجيةِ.

٦- المشاكلُ الصحيَّةُ تُؤثِّرُ دراماتيكيّاً على الإِتصالِ في العلاقةِ الزوجيةِ. عليكُ أَنْ تَفْتَرَضَ دائماً أَنَّ تكونَ المُشكلةُ الجسديَّةُ هي السببُ الكامنُ وراءَ صُعُوبَةِ الإِتصالِ. وهذا يَصِحُّ بشكلٍ خاصٍ عندما يكونُ الشخصُ الذي يصعُبُ الإِتصالُ معَهُ لم يكنِ هكذا من قَبْلِ. المشاكلُ النفسيةُ يُمكنُ أَنْ تُؤثِّرَ سَلْبِيّاً على الإِتصالِ. فإن كانَ شريكُ حياتكُ أو شريكَةُ حياتكُ يُعاني من مشاكلٍ عاطفيةٍ أو صحيَّةٍ، يَنْبَغِي أَنْ يجدَ من يُساعدُهُ.

حُلُولُ كِتَابِيَّة

في عوائقِ الإِتصالِ هذه وغيرها، أحياناً تكونُ المُشكلةُ البارزةُ هي الأنايَّةُ. إذ يكونُ وِاحِداً من الشريكينِ أو كلاهُما يُرَكِّزُ إهتمامَهُ على نفسه وليسَ على الآخرِ. لهذا فهو لا يهتمُّ بالآخرِ. ولهذا لا يُصغِي للآخرِ. ولهذا لا يهتمُّ بحياةِ الآخرِ. عندما تكونُ المُشكلةُ هي الأنايَّةُ، يكونُ الحَلُّ هو عَدَمُ الأنايَّةِ. القاعدةُ الذَّهبيَّةُ هي الحَلُّ. يُعلِّمنا يسوعُ أَنْ نُفَكِّرَ بما نُريدُ أَنْ يفعلَهُ الآخرونَ لنا، ومن ثَمَّ نَفْعَلْ هذه الأُمُورَ لَهُم. (متى ٧: ١٢) إن هذا التعليمُ العظيمُ ليسوعِ قد يُغيِّرُ حالةَ الإِتصالِ بينَ زوجينِ. فكلُّ شريكٍ يَنْبَغِي أَنْ يُرَكِّزَ على الآخرِ، وأن يهتمَّ حقاً بالقضايا التي تهمُّ الآخرِ.

هُناكَ عدَّةُ مشاكلٍ للإِتصالِ يُمكنُ التغلُّبُ عليها بِمُجرَّدِ طَلَبِ الحِكْمَةِ من الله. أحدُ أَعْدادي الكِتَابِيَّةِ المُفضَّلَةِ هو يعقوبُ ١: ٥، الذي يقولُ، "إن كانَ أحدُ تَعَوُّزِهِ حِكْمَةً، فليَطْلُبْ منَ الله." وأجدُ نفسي أقولُ لله مرَّةً بعدَ الأخرى، "لا أعرفُ ماذا أفعلُ. أحتاجُ حِكْمَةً لا أحوزُها. وأنتَ تقولُ لنا أطلُبوا، وها أنا أطلبُ." وسوفَ تَندهَشُ كيفَ يُسرُّ اللهُ أَنْ يُعطيَ حِكْمَةً لِشعبِهِ عندما يطلُبوا هذه الحِكْمَةَ منه. لهذا، عندما تُؤدِّي بِكُمْ تحدياتُ إِتصالِكُم إلى حيثُ لا تدرُونَ ماذا تفعلُونَ، اطلُبوا حِكْمَةً من الله.

كيف نتواصل مع شخصٍ صعب المراس

هناك مقاطع أخرى تُرينا كيف نتعامل مع الأشخاص ذَوِي المراس الصَّعب. أصغ إلى هذه النصيحة التي يُقدِّمها بولس لتيموثاوس، "والمُباحثاتُ العَبِيَّة والسخيفةُ اجْتَنِبْهَا عَالِماً أَنَّهَا تُؤَلِّدُ خُصُومَاتٍ. وعبُدُ الرَّبِّ لاَ يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ بَلْ يَكُونُ مُتَرَفِّقاً بِالْجَمِيعِ صَالِحاً لِلتَّعْلِيمِ صَبُوراً عَلَى الْمَشَقَّاتِ مُؤَدِّباً بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ عَسَى أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ. فَيَسْتَفِيهُوا مِنْ فَخِّ إِبْلِيسِ إِذْ قَدْ اقْتَنَصَهُمْ لِإِرَادَتِهِ" (٢ تيموثاوس ٢: ٢٣-٢٦).

إن كُنْتَ مُتَزَوِّجاً مِنْ شَرِيكِ صَعْبٍ، فَكأنَّهُ أَسِيرُ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ مَسْجُونٌ فِي زَنْزَانَةِ الشَّيْطَانِ وَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ إِخْرَاجَهُ. اللَّهُ وَحْدَهُ يَسْتَطِيعُ تَحْرِيرَهُ أَوْ تَحْرِيرَهَا.

ولكن إليك ما تستطيع فعله، لكي تستطيع أن تَتَمَسَّكَ بِثَمَارِ الرُّوحِ. هُنَاكَ ثَلَاثُ ثَمَارٍ لِلرُّوحِ مَذْكُورَةٌ هُنَا. الْوَدَاعَةُ، الصَّبْرُ، وَالرَّفْقُ. إِنْ كُنْتَ سَتَمَسَّكَ بِثَمَارِ الرُّوحِ هَذِهِ، سَتَتَرَكُ الْبَابَ مَفْتُوحاً لِلَّهِ وَمُعَلَّقاً عَلَى إِبْلِيسِ، وَسَوْفَ تَسْمَحُ لِلشَّرِيكِ الْآخِرِ بِالْإِصْغَاءِ إِلَى مَا تَقُولُهُ، فَتَقْدِمُ لَهُ الْحَقِيقَةَ الَّتِي تَجْعَلُهُ حُرّاً. يُحذِّرُ بُولُسُ بِإِسْهَابِ عَبْدِ الرَّبِّ (أَي أَنْتَ) بِأَنَّهُ لَا يَجِبُ أَنْ يُخَاصِمَ، لِأَنَّ هَذَا سَيُعْلِقُ الْبَابَ عَلَى اللَّهِ، وَيَفْتَحُهُ لِلشَّيْطَانِ.

بينما تُطَبِّقُ رُوحَ الصَّلَاةِ نَصِيحَةَ بُولُسِ عَلَى إِتِّصَالِكَ مَعَ الشَّخْصِ الصَّعْبِ الْمَرَّاسِ، عَلَيْكَ أَنْ تَعْتَبِرَ دَائِماً أَنَّكَ قَدْ تَكُونُ أَنْتَ الشَّخْصَ الصَّعْبَ الْمَرَّاسِ. وَلِهَذَا، عَلَيْكَ أَنْ تَسْمَعَ نَصِيحَةَ يَسُوعَ فِي مَتَّى ٧: ٥، عِنْدَمَا قَالَ، "أَخْرِجْ أَوْلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّداً أَنْ تُخْرِجَ الْقَدَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ." أَنْ يَكُونَ لِلإِنْسَانِ خَشَبَةٌ أَوْ قَدَى فِي عَيْنِهِ مُمَكِّنٌ أَنْ يُصِيبَهُ بِالْعَمَى، وَيَمْنَعُهُ مِنْ إِدْرَاكِ أَنَّهُ هُوَ الشَّخْصَ الصَّعْبَ الْمَرَّاسِ الَّذِي يَصْفُهُ بُولُسُ.

الْحَلُّ الْكِتَابِيُّ الْآخِرُ، خَاصَّةً عِنْدَمَا يَكُونُ لَدَى شَرِيكِ الْحَيَاةِ مَشَاكِلَ نَفْسِيَّةً أَوْ جَسَدِيَّةً، هُوَ أَنْ تُصَلِّيَ صَلَاةَ يَسُوعَ عَلَى الصَّلِيبِ، "إِغْفِرْ لَهُمْ يَا أَبَتَاهُ، لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ" (لوقا ٢٣: ٣٤). تَأَمَّلْ كَيْفَ صَلَّى يَسُوعُ عَلَى الصَّلِيبِ هَذِهِ الصَّلَاةَ لِأَعْدَائِهِ، وَسَطَّ الْآمِهِ الْمُبْرِحَةَ. فَإِنْ كَانَ يَسُوعُ قَدْ صَلَّى هَذِهِ الصَّلَاةَ لِأَعْدَائِهِ، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْتَ أَنْ تُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَاةَ لِزَوْجَتِكَ، أَوْ لِزَوْجِكَ؟ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الشَّرِيكَ الْآخِرَ مَسْئُولاً عَمَّا يَفْعَلُهُ بِسَبَبِ الْمَشَاكِلِ النَفْسِيَّةِ أَوْ الْجَسَدِيَّةِ أَوْ الصَّحِيَّةِ الَّتِي يُعَانِي مِنْهَا، عِنْدَهَا سَتَعْمَلُ صَلَاتَكَ لَهُمْ الْمُعْجَزَاتِ.

الإِتِّصَالُ الْعَائِلِيُّ

إِنْ كُنْتَ أَنْتَ وَزَوْجَتُكَ لَدَيْكُمَا أَوْلَادٌ، يُصْبِحُ عَامِلُ الْإِتِّصَالِ أَكْبَرَ مِنْ مُجَرَّدِ كَوْنِكَ أَنْتَ وَامْرَأَتِكَ فَقَطْ. مِنَ الْمُهِّمِّ أَنْ تَعْتَرِفَ بِوُجُودِ عَدَّةٍ "مَجْمُوعَاتِ إِتِّصَالٍ" فِي عَائِلَتِكَ، وَأَنْ تُخَصِّصَ وَقْتاً لِكُلِّ مَنْهَا. مِثْلاً، إِحْدَى مَجْمُوعَاتِ الْإِتِّصَالِ هِيَ الزَّوْجُ وَالزَّوْجَةُ، وَهِيَ الْمَجْمُوعَةُ الْأَكْثَرُ أَهْمِيَّةً فِي الْإِتِّصَالِ. ثُمَّ هُنَاكَ مَجْمُوعَةُ الْأَبِّ وَالْأُمِّ، اللَّذَانِ يُشَكِّلَانِ مَجْلِسَ

الإدارة. لا ينبغي الخلط بين هاتين المجموعتين. بل خصّصا وقتاً لتتكلّما معاً كزوج وزوجة، وأوقاتاً أخرى لمناقشة الأمور كوالدين.

علاوة على ذلك، هناك أيضاً مجموعات الإتصال بين الأهل والأولاد: أي الأب مع الأبناء، الأم مع البنات، وهكذا دواليك. أحياناً، ستجد من الضروري أن تتصل فردياً مع كل طفل على حدة، وأحياناً ستحتاج أن تتواصل مع الجميع كعائلة. ولا تنسى حاجة الأشقاء والشقيقات أن يتواصلوا مع بعضهم بدون وجود الأهل. هذا ما كنّا نسميه في بيتنا "بضجة الأشقاء" وكانت موسيقاه عذبة على أسمعنا.

دورة الحياة

تصوّر فطيرة مُستديرة مؤلفة من ثلاثة أثلاث. وكلُّ ثلثٍ منها يُمثّل ثلثاً من حياتنا كشركاء زوجيين مع أولادنا. في دورة الحياة العادية، نقضي ثلث حياتنا نترعرع مع أهلنا، ونقضي ثلثاً آخر مع زوجتنا نُربي أولادنا، والثلث الأخير نقضيه في "العش الفارغ" عندما يترك الأولاد المنزل وبقى لوحدها. هذا يعني أنك تقضي ثلثي حياتك مع زوجتك. لهذا تُعتبر العلاقة مع زوجتك أهم علاقة عليك أن تعمل على تحسين الإتصال في إطارها، لأنها ستستمر طويلاً بعد أن يكبر الأولاد ويُغادرون. سبب آخر لكون الإتصال بين الزوج والزوجة أولوية، هو أنه إذا كان متوتراً فهو يلحق الضرر بكل العلاقات الأخرى.

كثيرون من الأهل يقرّفون خطأ بوضع الأولاد أولاً قبل الشريك الآخر. ولكن هذا قد يكون خطيراً جداً، لأنه بينما ينمو الأولاد، إذا أهمل الزوجان علاقتهما، وهذا كثيراً ما يحدث، فعندما يترك الأولاد المنزل لينطلقوا إلى الحياة، ينظر الزوجان إلى بعضهما ويدركان أنه لا توجد علاقة جيدة بينهما. وهناك الكثير من الزوجات التي تتفسخ في هذه المرحلة، لأن الزوجين كانا يهملان العلاقة مع بعضهما مُعطيان الأولوية للأولاد. إن الإتصال يزودك بالأداة التي تُساعدك على تعزيز زواجك، الذي هو أهم علاقة في حياتك.

الفصل الخامس

رابط الإنسجام

الإنسجام أو التلاؤم هو برهان الوحدة التي خطط لها الله للزوج والزوجة. إن مفهوم الإنسجام يجعل الكثيرين متفكرين بذلك الشعور الذي يراودنا عندما نكون بجانب شخص نشعر بالجابية تجاهه. ينبغي أن نقول أن الإنسجام الجسدي مهم. ولكن الإنسجام لا يعني فقط الكيمياء، بل يعني أيضاً قضايا مثل القيم. فهل قيمكما منسجمة؟ هنا تجد الكثير من الزيجات مشاكلها. أحياناً يتزوج الشبان والشابات، دون أن يتكلموا عما إذا كانوا منسجمين روحياً. ولكن بعد الزواج، يكتشفون أنهم غير منسجمين في قيمهم الروحية.

مثلاً، تزوجت فتاة وأصبحت حاملاً، فطلب منها زوجها الشاب أن تتخلص من الجنين بالإجهاض. فقالت، "لن أفعل ذلك لأنه يتعارض مع إيماني." فأجاب زوجها، "ولكن ما علاقة هذا بالإيمان؟ فنحن لا نستطيع تحمل مصاريف الطفل. تخلصي من الطفل." فما كان منهما إلا أن تطلقا. منطقة أخرى من إضاح القيم، والتي تقود غالباً إلى الطلاق اليوم، هي تعريف دور الزوج والزوجة. من الضروري أن يوافق الشاب والشابة على الأدوار والمسؤوليات التي يخطط كل منهما لتحملها، ويتوقع من الآخر الأمر نفسه، قبل أن يتخذا قرار الزواج.

ينبغي أن تكون منسجماً أو متلائماً في قيمك مع شريك حياتك. فإن كنتم منسجمين، وإن كنتم واحداً في المسيح وكانت قيمكما مؤسستة على الكلمة، فگرا بالإنسجام الروحي الذي سينتج عن هذه الوحدة. وسيكون إنسجامكما الروحي الأساس الذي على أساسه سوف تحدّدان الأدوار والمسؤوليات التي تترتب على كل منكما في هذه العلاقة. إن إنسجامكما الروحي سوف يعرف القضايا الروحية والأدبية، وكيفية استخدامكما لأوقاتكما ومالككما، وما يريد كل منكما للأولاد، وكل ناحية أخرى في حياتكما معاً.

إن تاريخ كلمة إنسجام أو تلاؤم يرجع إلى ذلك الوقت عندما شعر الناس كذلك جبال الحياة. وتأتي عبارة إنسجام من كلمتين معناهما، "مع" و "تألم." ففي الماضي اعتبر الشريكان المنسجمان متلائمين للزوج، لأنهما قررا أن يتألما معاً. قد تبدو هذه نظرة سلبية للحياة، ولكن هذه كانت الحقيقة. لقد كانت الحياة صعبة جداً في الماضي. هل سبق لك وزرت مدفناً وتأملت كم من الأطفال دفنوا هناك؟ في الماضي كانت عائلات الناس عادة كبيرة، وكانوا يحبون الكثير من الأولاد، بسبب أن هذه العائلات كانت تخسر نصف أولادها الذين يموتون بالأمراض.

لهذا قلنا أن الأهم بين كلِّ علاقات الاتِّصال هذه، هي علاقة الإنسجام بين الزوج والزوجة. لأنك عندما تخسرُ ولداً، فأنثماً تخسرانه معاً، وتختبران هذا معاً، وتتألمُ مع زوجتك. ولكن عندما تخسرُ زوجتك، سوف تتألمُ لوحدك. لقد سمعتُ الكثير من الشركاء الزوجيين يُقرُّونَ هذه الحقيقة، أنهم عندما يكونونَ في علاقةٍ جيِّدةٍ معَ الربِّ ومعَ بعضهم، يستطيعونَ تحمُّلَ كلِّ الصُّعوبات. إنَّ هذا لتأليصٌ مُوجزٌ لمعنى كلمة "إنسجام".

لقد أصبح المعنى المألوف اليوم لكلمة إنسجام، شخصان مُناسبان لبعضهما ومُتلائمان. لديهما ميزات مُتشابهة في شخصيَّتهما وفي قيمهما، وفي أهدافهما. ولكن بعد أن يتزوَّج الناس يكتشفونَ أن كلَّ كائنٍ بشريٍ لديه إيجابياته وسلبياته. عادةً في بداية الزواج أنت لا ترى السلبيات، ولكن بعدَ فترةٍ من الزواج، تبدأ بإدراكِ أنك تتعاملُ معَ مجموعةٍ من الإيجابيات والسلبيات. وللأسفِ عندما تظهرُ هذه الحقيقة، يُقرُّ الكثير من الأزواج، "أنا أعتقدُ أننا لم نعدُ مُتلائمين. لهذا فسوف أُجربُ حَظِّي معَ مجموعةٍ أخرى من الإيجابيات والسلبيات معَ شريكِ آخر."

لقد أصبح الطلاقُ والإنفصالُ مألوفين في هذه الأيام، لأنَّ المُجتمَعَ المُعاصرَ يقولُ أنَّ عدمَ الإنسجام هو سببُ لإنهاءِ الزواج. في الواقع، تستطيعُ أن تجدَ في الحضارات المُختلفة، سبباً أنواع الأسباب القانونيَّة للطلاق. أمَّا الكتابُ المقدَّسُ فيعطيكُ سبباً واحداً للطلاق، وهو ليسَ عدمَ الإنسجام، بل عدمَ الأمانة، أو الخيانة الزوجيَّة. كما قلنا، إنَّ الزواجَ مبنيٌّ على الحصريَّة، والله لا يطلبُ منك أن تعيشَ معَ شريكِ حياةٍ لا يُطبِّقُ الحصريَّة ولا يستقصي الآخرين من حياته.

القبول

إنَّ فهمنا للإنسجام أو التلاؤم ينبغي أن يشملَ مفهومَ القبول. هناك أمورٌ كثيرة في الزواج عليكَ بمُجرَّدِ قُبُولِها في الشريكِ الآخر. فالشريكُ الآخرُ لن يتغيَّر. ولكنَّ الكثير من الناسِ سُدَّجٌ لدرجة أنَّهم يظنُّونَ أنَّهم بعدَ الزواج، سيستطيعونَ تغييرَ الخصائص الشخصية التي لا يُحبُّونها في شركاء حياتهم. النساءُ بشكلٍ خاصٍ هنَّ اللواتي يقعن في هذا الشرك. إنَّهن ساذجاتٌ لدرجة أنَّهنَّ يفلنَّ كلُّ عن الشاب الذي ستتزوج منه، "بعد أن أتزوَّجَه، سأغيِّره وأجعل منه الشاب الذي أريد." إنَّ الرجلَ بعدَ أن يتزوَّج، سوف يبقي تماماً كما هو قبلَ الزواج ولن يتغيَّر.

الكتابُ المقدَّس يهزأ من الناس الذين يقولونَ أنَّهم سيتغيَّرون. اسمع ما يقوله النبيُّ إرميا ، "هل يُغيَّرُ الكُوشِيُّ جِلْدَهُ أو النمرُ رُقْطَهُ. فأنتم أيضاً تقدرونَ أن تصنعوا خيراً أيُّها المُتعلِّمونَ الشرِّ" (إرميا ١٣ : ٢٣). الكتابُ المقدَّس واقعيٌّ لدرجة أنَّه لا يأمرنا أن نغيَّر.

ولكن الكتاب المقدس يُخبرنا بأنه علينا أن نُطبّق بعضَ الشروط، وعندها يُغيّرنا الله. فإن كُنْتَ راعياً بالتغيير بشدة، أو إن كُنْتَ مُفتنعاً أن شريكاً حياتك ينبغي أن تتغيّر، الأمل الوحيد لهذا التغيير هو إذا اختبرت أنت وشريكاً حياتك الولادة الجديدة. فمن خلال الولادة الجديدة يُغيّرنا الله ويعمل منّا خلايق جديدة بالمسيح (٢كورنثوس ٥: ١٧).

فباستثناء الولادة الجديدة، الناس لا يتغيرون. ومن غير النضج أن تظنّ أنّك تستطيع أن تُغيّر شريكاً حياتك، ومن غير النضج أكثر أن تظنّ أنّك إذا أبدلت شريكاً حياتك أو شريكاً حياتك بآخر، فسوف تحلّ المشكلة. سوف تكتشف سريعاً أنّك وحدت نفسك مع مجموعةٍ أخرى من السلبيات والإيجابيات. من النضج أن تطلب من الله أن يُعطيك نعمةً أن تقبل السلبيات والإيجابيات التي يتحلّى بها شريكك الآخر طيلة حياتك.

عندما تتأمل في انسجامكما كزوجين، لا تركز على السلبيات أو مناطق عدم الانسجام. إنّ هكذا نوع من السلبيّة كفيلاً بأن يُدمّر زواجكما. ولكن إذا ركزت على إيجابيات الانسجام، فهذا سيساعد كثيراً. أصبح شابٌ مؤمناً بالمسيح عندما كان في التاسعة عشرة من عمره. وعندما أُخبر راعي كنيسته الحكيم والذي قاده للمسيح، أنّه سوف يواجه صعوبَةً في الحفاظ على نقاوته الأخلاقية، أعطاه الراعي نصيحةً جيّدة. قال، "الله لديه امرأة خاصة لك. هذا هو الحلّ لكلّ هذه المشاعر التي تتناوبك."

فأجاب الشاب المؤمن، "ولكن كيف أعرف متى ألتقي بتلك المرأة." فقال الراعي، "دعني أُخبرك. خذ ورقةً بيضاء واكتب عليها لائحةً بكلّ الصفات التي تُريد أن تجدها في المرأة. اكتب هذه الصفات سواءً أكانت روحيةً أم فكريةً أم جماليةً... والآن، اكتب لائحةً أخرى عن الصفات التي تظنّ أن المرأة تبحث عنها في الرجل الذي تُريد. ثمّ انظر إلى هذه اللائحة بتمعّن، واسأل نفسك، "هل أنا هذا الرجل؟" وإن لم تكن هذا الرجل، تعلم ما تحتاج أن تعمله بينما تنتظر أن تكون على مستوى المثال الذي وضعته لنفسك."

إذا وضعت هكذا لوائح، سوف تعرف شريكاً حياتك حالماً تلتقي بها، لأنّك تعرف عمّا تُفتش. بالنسبة لي، هذا ما حدث معي. وهكذا كتبت هاتين اللائحتين، ورسختهما في ذاكرتي. عندما التقيتُ بزوجتي، كان بإمكانني أن أطلب يدها في نفس الساعة التي التقيتها بها. ولكنني انتظرتُ حتى الموعد الثاني الذي خرجنا فيه معاً، لأنني لم أكن أريدها أن تظنّ أنني مُتسرّع. بالرغم من أنّك لم تكن تحمل حرفياً هاتين اللائحتين في يدك عندما التقيت شريكاً حياتك، أو بشريك حياتك، لا بدّ أنّك تصرّفت بهذا المبدأ.

فعندما تتزوج، اسأل نفسك، ما هي الميزات التي جذبتك في زوجتك في البداية، وجعلتك تختارها، أو جعلتك تختارينه، شريك حياة؟ لأنه أحياناً قد يمضي على زواج البعض وقتٌ طويلٌ جداً لدرجة أنّهم ينسون ما جذبوا وجدهما للأحر. وماذا كانت لائحة الميزات التي

كُنْتُ تُفَنِّسُ عنها؟ وكم من هذه الميزات لا يزالُ الشريكُ الآخرُ يتمتعُ بها؟ ثمَّ إسألْ نفسك، ما هي الميزاتُ في حياتك التي جذبتَ شريكَ حياتك إليك؟ وكم من تلك الميزات لا تزالُ لديك حتى اليوم؟ ثمَّ اكتبْ لائحةً بكلِّ الصِّفات التي تُعجبُك وتُحبُّها وتحترِّمُها في شريكة حياتك. ثمَّ اكتبْ لائحةً بالصفات التي تُعجبُ شريكة حياتك وتحترِّمُها فيك.

لدى مؤلِّف هذا الكُتيب، الدكتور دكُّ وودوورد، قطعةٌ صخريةٌ تُستخدَمُ كَنَقَالٍ على أوراق المكتب، وكانت ابنته قد أعطته إياها، وقد كُتِبَ على وجهها الأول، "إن لم تُعدُّ قريباً من الله كما كُنْتُ سابقاً،" وعلى الوجه الثاني تجدُ السؤال التالي، "فمن هو الذي ابتعدَ عن الآخر؟"

والآن طَبِّقْ هذا السؤال على نفسك وعلى زوجتك. فإن لم تُعدُّ قريباً من زوجتك كما كُنْتُ سابقاً، فمن منكم هو الذي ابتعدَ عن الآخر؟ هل أنت من ابتعدت؟ أم زوجتك هي التي ابتعدت؟ لا تنسى أبداً الميزات التي جمعتكما في البداية.

مناطق الإنسجام

لمُساعدتك على وضع لوائح الإنسجام، لننظرُ معاً إلى المناطق الهامة في الإنسجام.

أولاً هنالك الانسجام الجسدي. ففي الزواج الناجح، إن كانت العلاقة الجسدية في الزواج، أي الجنس، سليمةً كما ينبغي أن تكون، فهي تُشكِّلُ عندها ١٠ % من العلاقة. ولكن إن لم تُكُنْ العلاقة الجسدية سليمةً كما ينبغي أن تُكُون، قد تصلُ أهميتها إلى ٩٠ %. كثيرٌ من الزيجات تُفسخُ اليوم بسبب عدم الانسجام الجسدي. كم من عدم الانسجام الجسدي سوف يُصححُ، إن كان موجوداً أصلاً، إذا تُغيَّرت أنت من التركيز على نفسك إلى التركيز على شريكة حياتك؟ وإذا وضعتَ الشريكَ الآخرَ في وسط دائرة اهتماماتك؟

إنَّ الانسجامَ له علاقةٌ بالقيم. والقيمة هي "تلك النوعية لأيِّ أمرٍ مُعيَّن التي من خلالها نُقرِّرُ ما إذا كانَ هذا الأمرُ أقلَّ أو أكثرَ أهميةً أو منفعةً، ومرغوباً به." وجميعنا لدينا قيمٌ، سواءً استَطَعنا تحديدها أم لا. وبعد أن يرتبِبتُ إثنان في الزواج، فهناك يُمكنُ أن يظهرَ عدمُ الانسجام. فالقيمُ لها علاقةٌ مثلاً بكيفِ نقضي وقتنا. هل سبقَ لك وتشاجرتَ معَ شريكة حياتك حولَ هذا الموضوع؟

أمرٌ آخرٌ تُحدِّدهُ قيمنا هو كيفَ نصرفُ مالنا؟ في حضاراتٍ عديدة، يُشكِّلُ المالُ الطريقةَ التي بها نصرفُ الوقت. فمالنا وممتلكاتنا تعكسُ كيفيةَ صرفنا لوقتنا. فعندما نصرفُ مالنا، نصرفُ أيضاً وقتنا وحياتنا. هل سبقَ وواجهتُما مشاكلَ حولَ المال؟ فعندما يتصادمُ الأزواجُ أحياناً حولَ كيفيةِ إنفاقِ المال، يظهرُ نموذجٌ دقيقٌ لقياسِ إنسجامهما.

إن كَيْفِيَّةَ تَرْبِيَةِ الأولاد هي مَنْطَقَةٌ أُخْرَى من الْمَنَاطِقِ الَّتِي تُعْبَرُ عَنِ الْقِيَمِ. فَيَنْبَغِي عَلَيْكُمَا أَنْ تُجِيبَا مَعاً عَلَى السُّؤَالِ، "مَاذَا نُرِيدُ لِأَطْفَالِنَا؟ أَيِّ نَوْعٍ مِنَ الثَّقَافَةِ وَالتَّعْلِيمِ نُرِيدُ لِأَوْلَادِنَا؟ وَكَيْفَ نُؤَدِّبُ أَوْلَادِنَا؟" عِنْدَمَا يَأْتِي كُلُّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ مِنْ خَلْفِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ جَدًّا عَنِ الْآخَرِ، فَعَلَى الْأَرْجَحِ سَوْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمَا صِرَاعٌ فِي إِجَابَتِهِمَا عَلَى هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ مَعاً.

مَنْطَقَةُ الْإِنْسِجَامِ الْآخِرَةِ الَّتِي تُعْتَبَرُ هَامَّةً الْيَوْمَ هِيَ مَا يُسَمَّى تَعْرِيفَ الدَّورِ. فَكَيْفَ تَنْظُرُ إِلَى دَوْرِ الزَّوْجِ وَالْأَبِّ؟ وَكَيْفَ تَنْظُرُ إِلَى دَوْرِ الزَّوْجَةِ وَالْأُمِّ؟ بَيْنَمَا تَقُومُ بِتَعْرِيفِ هَذِهِ الْأَدْوَارِ، أَوَدُّ أَنْ أَسْأَلَكَ سُؤَالَيْنِ: هَلْ تَسْتَقِي تَعْرِيفَاتِكَ مِنَ الْحَضَارَةِ أَمْ مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ؟ وَإِنْ كُنْتَ تَسْتَقِيهَا مِنَ الْحَضَارَةِ، فَكَيْفَ تَجْرِي الْأُمُورَ فِي زَوْاجِكَ وَعَائِلَتِكَ؟

فَإِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الزَّوْاجَ وَوَضَعَ خُطَّةً لَهُ، فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ طَرِيقَةً تَعْرِيفِكَ لِلأَدْوَارِ فِي عِلَاقَتِكَ الزَّوْجِيَّةِ مُؤَسَّسَةً عَلَى كَلِمَةِ اللَّهِ. تَذَكَّرْ أَنَّ الْأَسَاسَ الَّذِي بَدَأْنَا عَلَيْهِ هَذِهِ الدِّرَاسَاتِ عَنِ الزَّوْاجِ وَالْعَائِلَةِ، هُوَ أَنَّ الزَّوْاجَ وَالْعَائِلَةَ هُمَا قَانُونُ الْحَيَاةِ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ عِنْدَمَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ ذَكَرًا وَأُنْثَى. لَقَدْ أُعْطِيَ فِي كَلِمَتِهِ خُطَّةً لِكَيْفِيَّةِ عَمَلِ الْأَزْوَاجِ وَالْعَائِلَاتِ. فَإِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنَانِ أَنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ الْمُوحَى بِهَا، عَلَيْكُمَا أَنْ تَقْتَرِبَا مِنْ كَلِمَةِ اللَّهِ مُفْتَشِينَ عَنِ خُطَّةِ اللَّهِ لِتَعْرِيفِ الْأَدْوَارِ. فَإِذَا اتَّفَقَ الزَّوْجُ وَالزَّوْجَةُ عَلَى اسْتِقَاءِ تَعْرِيفَاتِهِمَا لِلأَدْوَارِ مِنْ خُطَّةِ اللَّهِ، سَيَمْنَحُهُمَا هَذَا فُرْصَةً عَظِيمَةً لِلإِنْسِجَامِ وَالتَّلَاوُمِ.

الأدوار الكتابية

إن قِضِيَّةَ تَعْرِيفِ دَوْرِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ فِي الزَّوْاجِ الْيَوْمِ، تُثِيرُ قِضِيَّةً أُخْرَى تُسَمِّيهَا "حُجَّةَ الْحَضَارَةِ". فَيَقُولُ النَّاسُ أَنَّ مَقْطَعًا كِتَابِيًّا لَا يُمْكِنُ تَطْبِيقُهُ بِالضَّرُورَةِ الْيَوْمِ، بِسَبَبِ الْإِخْتِلَافَاتِ الْحَضَارِيَّةِ الَّتِي سَادَتْ فِي زَمَنِ كِتَابَةِ الْوَحْيِ. وَهَذِهِ الْإِخْتِلَافَاتُ الْحَضَارِيَّةُ تُبْطِلُ قِيَمَةَ الْحَقِيقَةِ الَّتِي تُعَلِّمُهَا كَلِمَةُ اللَّهِ.

صَحِيحٌ أَنَّ هُنَاكَ الْكَثِيرَ مِنَ الْمَقَاطِعِ الْكِتَابِيَّةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ عَلَى ضَوْءِ الْحَضَارَةِ، مِثْلًا فِي كُورِنْثُوسِ الْأُولَى ١١، حَيْثُ يَقُولُ بُولُسُ أَنَّهُ فِي كُورِنْثُوسِ، إِنْ كَانَتْ امْرَأَةٌ تُظْهِرُ بِقِصَّتِهَا شَعْرَهَا أَنَّهَا كَانَتْ مُومِسَاءً، فَإِذَا عَلَى الْمَرْأَةِ الْمَسِيحِيَّةِ أَنْ لَا تَقْصَّ شَعْرَهَا بَلْ أَنْ تُرْخِيَهُ. وَعِنْدَمَا لَا تُوجَدُ هَكَذَا عَادَةً، فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْمَرْأَةَ مُمَكِّنُ أَنْ تَقْصَّ شَعْرَهَا.

وَلَكِنْ هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَقَاطِعِ الْكِتَابِيَّةِ الْآخَرَى تُسَمَّى "مَا فَوْقَ الْحَضَارِيَّةِ"، مِمَّا يَعْنِي أَنَّهَا لَا يَنْبَغِي أَنْ تُفَسَّرَ عَلَى ضَوْءِ الْحَضَارَةِ الَّتِي كُتِبَتْ فِيهَا، عَلَيْنَا أَنْ نُفَسِّرَ حَضَارَتَنَا عَلَى ضَوْءِ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَيْسَ أَنْ نَدْعَ الْحَضَارَةَ تُفَسِّرُ كَلِمَةَ اللَّهِ. لَقَدْ أُعْطِيَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ لِكَيْ تُؤَسِّسَ حَضَارَةَ تَقْوَى وَعِبَادَةِ اللَّهِ. أَحَدُ هَذِهِ الْمَقَاطِعِ هُوَ فِي تَكْوِينِ الْإِصْحَاحِ الْأَوَّلِ، حَيْثُ خَلَقَ اللَّهُ

المرأة كمُعِينٍ أو مُكَمِّلٍ للرجُل. إِنَّ الرجُلَ لم يَكُنْ كامِلاً بِدُونِ المرأةِ. والمرأة لم تَكُنْ كامِلةً بدونِ رجُلٍ تُكَمِّلُهُ. فَصَارَ الرجُلُ والمرأةُ واحِداً، وَسُمِّيَا آدمَ وليسَ آدميونَ.

فبدونِ زوجَتِكَ أنتَ لستَ سِوَى جزءٍ مما ستَكُونُهُ. فأنتَ إذاً غيرُ كامِلٍ. وبدونِ زوجٍ تُكَمِّلِينَهُ، أنتَ غيرُ كامِلةً. فاللهُ يجمعُ الإِثنينِ إلى واحدٍ، فَيُشَكِّلَانِ معاً شَخْصِيَّةً واحِدةً مُتكامِلةً، ومعاً يستطيعانِ إتمامَ الكثيرِ من الأشياءِ. فالآنَ هذا هو تعريفُ كِتَابِي فوقِ حضاري (أي غير مُتأثرٍ بالخلفيَّةِ الحضارية) لدورِ الزوجِ والزوجةِ.

نموذج بطرس للزواج

هُنَاكَ مَقْطَعٌ آخِرٌ "فوقِ حَضَارِي" هو ١ بُطرس ٣. في الإصحاح الذي يسبقُهُ، أشارَ بطرسُ إلى أَنَّنَا، قَبْلَ أَنْ نَكُونَ مَسِيحِيِّينَ، كُنَّا كَغَنَمٍ ضَالَّةً. ثُمَّ يَقُولُ "لَكِنَّمُ رَجَعْتُمْ الآنَ إلى رَاعِي نُفُوسِكُمْ وَأَسْقَفِيهَا." (٢: ٢٥)

ثم يبدأ بإعطاء النصائح للنساء اللواتي لديهن أزواج لا يُطيعون الكلمة. فتوجه إليهن بالقول، "كَذَلِكَ أَيُّهَا النِّسَاءُ كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ لَا يُطِيعُونَ الْكَلِمَةَ، يُرَبِّحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَاءِ بِدُونِ كَلِمَةٍ." (٣: ١). وللرجال يقول، "كَذَلِكَ أَيُّهَا الرِّجَالُ كُونُوا سَاكِنِينَ بِحَسَبِ الْفِطْنَةِ مَعَ الْإِنَاءِ النَّسَائِيِّ كَالْأَضْعَفِ، مُعْطِينَ إِيَّاهُنَّ كِرَامَةً كَالْوَارِثَاتِ أَيْضاً مَعَكُمْ نِعْمَةَ الْحَيَاةِ لِكِي لَا تُعَاقَ صَلَوَاتُكُمْ." (٣: ٧).

الكلمة المُفْتاحِيَّةُ هنا هي في الأعداد ١ و ٧ وهي، "كَذَلِكَ وَكَذَلِكَ." بِأَيَّةِ طَرِيقَةٍ، أَي بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ كَمَا رَجَعْتُمْ إِلَى يَسُوعَ، رَاعِي نُفُوسِكُمْ وَأَسْقَفِيهَا، فَيَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ رَاعِي نُفُوسِكُمْ وَأَسْقَفِيهَا. فِي كِتَابَاتِ كُلِّ مَنْ بَطْرُسُ وَبُولُسُ، سَوْفَ تَجِدُونَ أَنَّ الْمَثَالَ الدَائِمَ لِلزَّوْجِ هُوَ الْمَسِيحُ وَالْكَنِيسَةُ.

يُشِيرُ بَطْرُسُ هُنَا إِلَى الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ وَيَسْأَلُ الْأَزْوَاجَ وَالزَّوْجَاتِ، "هَلْ تُرِيدُونَ أَنْ تَرَوْا مَا هِيَ خُطَّةُ اللَّهِ الْفَوْقَ حَضَارِيَّةً لِأَدْوَارِ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ؟ أَنْظُرُوا إِلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي يَرعى بِهَا الْمَسِيحُ الْكَنِيسَةَ. أَيُّهَا الرِّجَالُ، أَرَعُوا نِسَاءَكُمْ كَمَا رعى الْمَسِيحُ الْكَنِيسَةَ. أَيُّهَا النِّسَاءُ، هَلْ تُرِيدْنَ أَنْ تَعْرِفْنَ مَا هُوَ دَوْرُكُمْ كزَوَّجَاتٍ؟ تَأْمَلُوا بِمِثَالِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ. فَكَمَا يَرعى كُنَّ أَزْوَاجِكُنَّ كَمَا رعى الْمَسِيحُ الْكَنِيسَةَ، عَلَيْكُنَّ أَنْ تَكُنَّ كَمَا هِيَ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ فِي عِلَاقَتِكُنَّ مَعَ أَزْوَاجِكُنَّ.

هذه هي الروح التي كتبَ بها بطرسُ هذا المقطع. لقد كان يقصدُ القول، "أَيُّهَا النِّسَاءُ، لِيَكُنَّ أَزْوَاجِكُنَّ كَمَا الْمَسِيحُ لَكُنَّ، وَكُنَّ تَحْتَ رِعايَةِ أَزْوَاجِكُنَّ. وَدَعْنَهُمْ يُحِبُّنَّكُمْ كَمَا أَحَبَّ الْمَسِيحُ الْكَنِيسَةَ." هذا ما تعنيه كَلِمَةُ خُضُوعٍ بالنسبةِ للزَّوْجَاتِ – أَنْ يَدَعَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ يَرعونَهُنَّ كَمَا يَرعى الْمَسِيحُ الْكَنِيسَةَ.

إن سببِ عَدَمِ رُؤْيَةِ هذا النموذجِ في زيجاتِ الكثيرِ من المؤمنينَ اليومِ إلا ما نَدَرَ، هو ليسَ أن النساءَ لا يُردنَ أن يخضعنَ لرعايةِ أزواجهنَّ، رُغمَ أنَّ هذا المُشكلةُ موجودةٌ. ولكنَّ المُشكلةَ الكُبرىَ لمثالِ الزواجِ هذا هي أن الرجالَ لا يُريدونَ أن يكونوا كالمسيحِ لزوجاتهم. ولن يكونوا كهنةَ المنزل، ولن يتحملوا مسؤوليةَ قيادةِ ورعايةِ الزوجةِ والعائلةِ.

نموذج بولس للزواج

نجدُ في أفسس ٥ أن بولس يُقدِّمُ خُطَّةَ تعريفِ أدوارِ الأزواجِ والزوجاتِ، تماماً كما قدَّمها بطرسُ في رسالتهِ الأولى. يقولُ بولسُ في أفسس ٥: ٢١، "خاضعينَ بعضُكم لبعضٍ في خوفِ الله." لاحظوا أن بولسَ يدعو لُخُضُوعَ مُتبادِل. فعلى الأزواجِ أيضاً أن يخضعوا، لأنهم بالطبيعة يُركِّزونَ على نواتهم دونَ غيرهم. عندما يقرأ الأزواجُ المؤمنونَ أنه عليهم أن يكونوا واحداً، يقضونَ السنينَ وهم يتساءلونَ، أيُّ واحدٍ منا ينبغي أن نكونَ؟ لكي يكونَ الإثنانِ واحداً، ولكي ينجحَ الزواجُ، ينبغي أن يخضعَ الزوجُ والزوجةُ لبعضهما البعض. هذا هو جوهرُ الحُبِّ.

ثمَّ يتابعُ بولسُ، "أيُّها النساءُ، اخضعنَ لرجالِكُنَّ كما للربِّ. لأنَّ الرجلَ هو رأسُ المرأةِ كما أنَّ المسيحَ أيضاً رأسُ الكنيسة. وهو مُخلِّصُ الجسد. ولكن كما تخضعُ الكنيسةُ للمسيحِ كذلكِ النساءُ لرجالِنَّ في كُلِّ شيءٍ." (أفسس ٥: ٢٢-٢٤).

من الواضحِ أنَّ بولسَ يعملُ نفسَ ما عملهُ بطرسُ في نصيحتهِ المُوحى بها عن الزواجِ. فبطرسُ وبولسُ يُقدِّمانِ نموذجاً عن المسيحِ والكنيسة، وكلاهما يكتبانِ تعريفاتِ دورِ الأزواجِ والزوجاتِ، مُستخدِمينَ المسيحِ والكنيسةَ كنموذجيهما. إن نموذجَ المسيحِ والكنيسةِ ليستَ له أياً علاقةً بحضاراتِ آسيا الصُغرى أو روما. إن خُطَّةَ الزواجِ هذه قَلبتَ موازينَ الفسادِ والرذيلةِ رأساً على عقبٍ في تلكَ الحضاراتِ. علينا أن نتذكَّرَ أن يسوعَ لم يُعلمَ رُسلَهُ وتلاميذَهُ بأن يتكيفوا معَ قِيَمِ الحضاراتِ بل تحدَّاهم أن يبيِّتوا رُوحَ الثورةِ في حضاراتِهِم.

إنَّ المُهمَّةَ المُعطاةَ للنساءِ في نصيحةِ بولسِ الزوجيةِ تتطلَّبُ نعمةً خارقةً للطبيعة. وبالأكثرِ فالمُهمَّةُ المُعطاةُ للرجالِ تتطلَّبُ أيضاً نعمةً خارقةً للطبيعة. فينبغي علينا نحنُ الرجالُ أن نُحبَّ زوجاتنا "كما أحبَّ المسيحُ أيضاً الكنيسةَ وأسلمَ نفسهَ لأجلها" (عدد ٢٥). بنفسِ الطريقةِ كما أحبَّ المسيحُ الكنيسةَ ينبغي على الرجالِ أن يُحبُّوا زوجاتهم وعائلاتِهِم. وكما بدَّلَ المسيحُ نفسهَ من أجلِ الكنيسةِ، على الأزواجِ أن يكونوا "مثلَ الله... كاملين." (متى ٥: ٤٨) لقد كتبَ بولسُ للكولوسيينَ أن رجاءنا الوحيدُ هو معجزةُ كونِ المسيحِ يحيا فينا. فإن كانَ المسيحُ حياً فينا، فمن المُمكنِ، لا بل من الطبيعيِ لنا أن نكونَ كما هو المسيحُ، في محبَّتينا وبدلنا نواتنا لزوجاتنا. (كولوس ١: ٢٧)

أيتها المرأة، إن كان عندك زوجُ أحبَّك وأحبَّ الأولاد تماماً كما أحبَّ المسيحُ الكنيسة، فهل سيكونُ صعباً عليك أن تجعليه يرفعك وأن تدعيه يكونُ ربَّ المنزل، وأن تدعيه يتحمَّلُ مسؤولية قيادة المنزل، إن أحبَّك كما أحبَّ المسيحُ الكنيسة؟

بطريقة ما، عندما تُعطى المهمة للنساء، سيجدن الأعداء بسهولة. يقول بطرس، "أيتها المرأة، ينبغي أن تدعي زوجك يرفعك ويقودك. وعليك أن تقبلي هذا بوداعة." هذا ما يتكلم عنه بولس عندما يقول، "يربحون بسيرة النساء"، بالموقف القلبي في زينة الروح الوديع الهادئ الذي هو في نظر الله كثير الثمن. أيتها النساء إخضعن لرجالكن بوداعة. اعتقد أن الكثير من النساء قد إخضعن خارجياً، ولكنهن يبقين على موقف التمرد داخلياً. أما بطرس فيقول، "كلا، بل إخضعن داخلياً بوداعة وصدق. وكُنَّ صامتات. فقط أسلكن في الكلمة أمام أزواجكن. وإن كان هناك ما يشجع الرجل على الوقوف في مكانه، هو عندما تقف المرأة في مكانها."

تذكر أن بطرس يوجه هذه الكلمات للزوجات اللواتي أزواجهن لا يُطيعون الكلمة. قد يعني هذا أن أزواجهن غير مؤمنين. أو قد يعني هذا أن أزواجهن مؤمنون ولكنهم ليسوا بالنسبة لزوجاتهم كما هو المسيح للكنيسة. فهناك مكان لكل من الرجل والمرأة في الزواج بحسب يسوع، بطرس، وبولس. علينا أن نتذكر أن بطرس يوجه هذه الكلمات للزوجات اللواتي لا يقف أزواجهن في المكان المعين لهم.

بالإختصار

إن جوهر ما يقوله بطرس لهؤلاء النساء هو أن لا يدفعن أزواجهن بالقوة لأخذ أماكنهم، وأن لا يعظنهن أو يسحبنهن سحباً ليقفوا في أماكنهم. فبنعمة الله، سوف يقفون في أماكنهم الصحيحة. وهو لا يقول لهؤلاء الزوجات أن نصيحتة سوف تقود دائماً إلى تجديد أزواجهن وتغييرهم. ولكن نصيحتة هي أنه إن كان شيء سوف يحلُّ مشكلتهن، فهذا الشيء هو مثالهن الذي يتحدى أزواجهن ليقفوا في موقعهم الصحيح.

الفصل السادس

رابطُ الحبِّ

البُعدُ الروحيُّ هو أساسُ الوحدة التي خطَّطَ لها اللهُ للزوجِ والزوجة. الإتِّصالُ هو أداةٌ من خلالها يستطيعُ الزوجانُ أن يُغدِّيا ويصنونا وحدتَهُما. والإنسجامُ أو التلاؤمُ هو بُرهانٌ وحدتَهُما. الحبُّ هو المُحرِّكُ الديناميكي العظيم للوحدة التي خطَّطَ لها اللهُ، عندما أعلنَ أن يُصبحَ هذان الإثنانُ واحداً.

هُنَاكَ سُؤالٌ جيِّدٌ أن يطرحَهُ الأشخاص الذين يستعدُّونَ للزواجِ على أنفسهم: "عندما تقولانَ واحدُكما للآخر أحبُّكِ أو أحبُّكَ، ماذا تقصدانَ بهذا؟ هل تعني أن لديك حاجة وأن الشخصَ الآخر يُلبِّي هذه الحاجة أكثرَ من أيِّ شخصٍ آخر سبقَ والتقيته؟ عندما تقولان، "أحبُّكِ أو أحبُّكَ"، فهل تعنيان، "أحتاجُكِ أو أحتاجُكَ؟" إن كانَ هذا هو مَفهُومُكما للحبِّ، فليسَ لكمَا وجهةُ النظر الكتابيَّة لمعنى كلمة "حبُّ أو محبَّة".

عندما تقولان، "أنا أحبُّكِ أو أحبُّكَ، هل تقصدان: أن خيرِكِ أو خيرِك هو مهمُّ لي تماماً كخيري؟" هذا تعريفٌ أفضل، ولكنه ليسَ تعريفاً كتابياً للمحبَّة المُتَشَبِّهة بالمسيح.

المُشكلة الأكبر في الزواج هي الأنانيَّة. وبالعكس، فإنَّ المُحرِّك أو الدافع الأقوى في الزواج هو عدم الأنانيَّة، الإهتمام بالغير، القُدرة على وضع الآخر في وسطِ الدائرة، والتفكير في طريقة سدِّ حاجاتِ الآخر. عندما تكتشِفونَ التعريفَ الكتابيَّ للحبِّ، سوف ترون أن المحبَّة المُتَشَبِّهة بالمسيح هي أعظمُ مُحَرِّكٍ ديناميكي في الزواج، لأنَّ محبَّة المسيح تُمكننا حقاً من أن نكونَ غيرَ أنانيين.

قالَ يسوعُ، "مغبوطٌ هو العطاءُ أكثرَ من الأخذ." (أعمال الرُّسل ٢٠: ٣٥) لقد شاهدتُ زيجاتٍ تغيَّرت جذرياً نحو الأفضل عندما طُبِّقَ هذا المبدأ. غالباً ما يتزوَّج الناسُ لأنَّهم يُريدونَ أن يأخذوا من الآخر كُلَّ ما يستطيعون الحصولَ عليه. ولكن إن كانا كلاهما يُريدان الأخذَ ويرفضان العطاء، فلن يحصلَ أحدٌ منهما على أيِّ شيء. ولكن الأمور تتغيَّرُ بشكلٍ جذريٍّ عندما يدركان أنَّه "مغبوطٌ هو العطاءُ أكثرَ من الأخذ."

إن لم تتعلَّم كيف تَضَعُ الآخرين في الوسط، لا تُتَجِبُ أولاداً. فكما أن الدعوة للزواج ينبغي أن تكونَ مبنيةً على الإرشادِ الإلهي، كذلك ينبغي على الأزواج الأتقياء أن لا يُنجبوا الأولاد إلى أن يقودهم الربُّ إلى إنجابِ الأولاد في زواجهم وفي العالم. إن إنجابِ الأولاد هو أكثرُ أمرٍ غير أناني يُمكنُ لزوجين أن يعملاه. فخلال تربيتهما لأولادهما لمُدَّةِ عشرين أو خمس وعشرين سنةً، عليهما أن يُعطِيا ويُعطِيا، وبدون أيِّ مُقابل. فإن كانا أهلاً صالحين،

عندما يترك أولادها المنزل، يتزوج هؤلاء الأولاد ويُنجبون بدورهم، ويضخون لأولادهم. إن هذا يتطلب الكثير من عدم الأنانية.

أنا واحد من الأجيال النادرة اليوم. لقد باركني الله بأُمٍ تقيّة كانت تؤمن بخطّة الله للزواج والعائلة. كان لأُمِّي أحد عشر ولداً فسألتها ذات يوم، لو أنّها كانت ستبدأ حياتها من جديد، هل كانت ستقبل أن تُنجبنا نحن أولادها جميعاً؟ فقالت، "نعم، ولكن قبل أن أفعل هذا، أقرّر أنّهُ لن يكون لديّ أية حياة خاصّة." قد يبدو لك الأمر غريباً، أنّ أُمِّي لم تكن لها أية حياة خاصّة.

أحد المُسلّمات في القرن الحادي والعشرين عند الأجيال الشابّة، هو حقّهم بأن يعيشوا حياتهم. لهذا تُصدّم الكثير من النساء من فكرة كونهنّ يكملن الرجل. ويصدّم الرجال بفكرة أنّهُ عليهم أن يُحبّوا نساءً هم ويبدّلوا نفوسهم من أجلهنّ كما أحبّ المسيح الكنيسة وبذل نفسه من أجلها. فكيف بإمكانك أن تعيش حياتك لنفسك، وفي نفس الوقت أن تبدّل حياتك لزوجتك وعائلتك؟ الجواب هو أنّك لن تستطيع أن تعمل هذا.

قيل عن المسيح، "خلّص آخرين، وأما نفسه فلا يستطيع أن يُخلّصها." (متى ٢٧: ٤٢) أن تُحبّ بمحبّة المسيح، عليك أن تُضحّي بحياتك من أجل الذين يُحبّونك. لقد أحبّت أُمِّي زوجها وأولادها بمحبّة المسيح. لهذا لم يكن لها حياة شخصيّة لتعيشها. ولكنها كان سعيدة. ولقد عاشت حياةً زوجيّةً طويلةً، ولم تقرأ مرّةً أيّ كتابٍ عن الزواج. بل قرأت الكتاب المقدّس بكلّ بساطة. وكانت زوجةً وأمّاً سعيدةً، لأنّها اكتشفت ديناميكيّة زواجها في الكتاب المقدّس.

إن أسلوب الحبّ الذي إختارته يتعارض مع موقف الأنانية في هذا الجيل. وهذا يتعارض مع قول يسوع، "ليس لأحدٍ حبٌّ أعظم من هذا أن يضع الإنسان نفسه من أجل أحبائه" (يوحنا ١٥: ١٣). أو تعليم يسوع، "فإنّ من أراد أن يُخلّص نفسه يهلك نفسه من أجلّي فهذا يُخلّصها." (لوقا ٩: ٢٤) كتب أحد المرسلين الذي استشهد من أجل إيمانه، "حكيمٌ هو الذي يبدّل ما لا يستطيع الإحتفاظ به، لكي يربح ما لا يمكن أن يخسره أبداً." فإنّ يُضحّي الشريكان الزوجيان كلّ حياتهم من أجل الآخر، أو الآخرين، هو أعظم حبٍّ هنا. هذا هو نوع الحبّ الذي نراه في تعريف دور الرجل والمرأة اللذين جُمعا معاً في الزواج كما حطّط له في الكتاب المقدّس.

أنا أسمي هذا ديناميكيّة الوحدة في الزواج. بالإختصار: إن العلاقة الروحيّة التي يتمتّع بها الشريكان مع المسيح فردياً وكلاهما معاً هي أساس الوحدة. والاتصال هو الأداة التي تُعزّز الوحدة. والانسجام أو التلاؤم هو برهان الوحدة. والحبُّ هو الديناميكيّة التي تُحرّك الوحدة.

ما هو الحبُّ؟

لقد سألتُ الأزواجَ عبرَ السنين، "ماذا تعني عندما تقولُ لزوجتكِ أنكِ تُحبُّها؟" وتعجبتُ كم يتعزَّرُ الرجالُ ويتلعمونَ في إيجادِ الكلماتِ المُناسبةِ، أو في عدمِ قُدْرَتِهِمْ على تفسيرِ مفهومهم للحبِّ. الحقيقةُ هي أننا عندما نكونُ في مرحلةِ الشبابِ ونريدُ أن نترجَّحَ، لا نعرفُ الأمرَ الأوَّلَ عن الحبِّ. فعندما يقولُ الشابُّ لعروسِهِ "أحبُّكِ"، لربَّما هو يعني، "أحبُّ نفسي وأريدُكِ". ولكن إن كانَ هذا هو كُلُّ ما يقصُّدهُ الرجلُ عندما يقولُ لعروسِهِ أَنَّهُ يُحبُّها، فهذا سيكوُنُ خالياً من الأمانِ للزوجةِ، لأنَّ الرجلَ قد يجدُ من يُلبي حاجتَهُ تلكَ بشكلٍ أفضلِ مِنْ زوجتِهِ.

إصحاحُ الزواجِ في الكتابِ المقدَّسِ

أودُّ أن أشاركَ معكمُ ما أظنُّه أعظمَ تعريفٍ مكتوبٍ عن محبةِ اللهِ والمسيحِ. نجدُهُ في ١ كورنثوس ١٣، وهو مقطعٌ لربَّما مألوفٌ لديكم. لم تكنِ المحبةُ هي الموضوعُ الأساسي عندَ بولسٍ عندما كتبَ للكورنثوسيين هذه الكلماتِ الموحى بها. بل كانَ يتكلَّمُ عن المواهبِ الروحيةِ. ولكي يوضِّحَ المواهبَ الروحيةَ ويضعها في إطارها الصحيح، كتبَ هذا الإصحاحَ الموحى به عن المحبةِ.

المحبةُ المُقارنةُ (أعداد ١-٣)

"إن كُنْتُ أَتكلَّمُ بالسِّنةِ النَّاسِ والملائكةِ ولكن لسيِّسَ لي محبةٌ فقد صِرْتُ نُحاساً يطنُّ أو صَنجاً يرنُّ. وإن كانت لي نُبوَّةٌ وأعلمُ جميعَ الأسرارِ وكُلَّ عِلْمٍ وإن كانَ لي كُلُّ الإيمانِ حتَّى أنقلَ الجبالَ ولكن ليسَ لي محبةٌ فلستُ شيئاً. وإن أطعمتُ كُلَّ أموالِي وإن سلَّمتُ جسدي حتَّى أحترقَ ولكن ليسَ لي محبةٌ فلا أنتفَعُ شيئاً."

في الأعدادِ الثلاثةِ الأولى من هذا الإصحاحِ الرائعِ، يقولُ بولسُ أنَّ المحبةَ ليسَ لها بديلٌ، وليسَ لها مثيلٌ. يقولُ ما معناه أَنَّهُ "لا يُمكنُ لأيِّ شيءٍ أملكُهُ أو أكونُهُ أو سأكونُهُ أو أعملُهُ أن يحلَّ محلَّ المحبةِ في حياتي." في أيامِ بولسٍ، اشتهرَ الذين كانوا يعيشونَ في حضارةِ كورنثوسِ اليونانيةِ بشغفهم بالخُطابةِ البليغةِ وبتشديدِهم على الفكرِ والفلسفةِ. ولقد كانَ المسيحيونَ الأوائلُ في كورنثوسِ كثيرينَ الإهتمامِ بالمواهبِ الروحيةِ، خاصةً التكلُّمُ بالسِّنةِ. لهذا يُقارَنُ بولسُ بينَ المحبةِ والفصاحةِ، أو السِّنةِ النَّاسِ والملائكةِ، وكُلَّ علمٍ، لكي يُعطي الأولويةَ للمحبةِ التي كتبَ عنها، والتي ليسَ لها بديلٌ ولا مثيلٌ.

ثمَّ يتكلَّمُ عن موهبةِ النُّبوَّةِ، التي يقولُ عنها فيما بعدَ أَنَّها كانتِ أعظمَ المواهبِ الروحيةِ. (١ كورنثوس ١٤: ١) ثمَّ يُقارَنُ المحبةَ بالإيمانِ، ويختتمُ الإصحاحَ بالقولِ أن الإيمانَ هو واحدٌ من أعظمِ القيمِ الأبديةِ الثلاثِ. وكما عرفَ أعظمُ مُرسَلٍ في الكنيسةِ على الإطلاقِ،

نُدرِكُ كم كانَ الإيمانُ مُهمّاً بالنسبةِ لبُولس. رُغمَ ذلكَ يَكْتُبُ قائلاً أَنَّهُ إن كانَ لنا إيمانٌ بدونَ محبّة، فلسنا شيئاً. بينما يُقارِنُ بُولس المحبّةَ بهذه القِيمِ المُعتَبَرةِ في كورنثوس، يستنتِجُ بالقول، "لا شيءٌ من كُلِّ هذه المواهبِ مُمكنٌ أن يَحُلَّ مكانَ المحبةِ في حياتك، بسبب ما هي المحبّة."

المحبّةُ المُفارقة (أعداد ٨-١٣)

"المحبّةُ لا تسقطُ أبداً. وأمّا الثُّبُوتُ فسُتَبطَلُ والألسنةُ فسُتَنتهى والعِلْمُ فسُيُبطلُ. لأننا نعلّمُ بعضَ العِلْمِ ونبنّبُ بعضَ التنبؤِ. ولكن متى جاءَ الكاملُ فحينئذٍ يُبطلُ ما هُوَ بعضُ. لما كُنْتُ طفلاً كَطِفَلٍ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ وكَطِفَلٍ كُنْتُ أَفْطَنُ وكَطِفَلٍ كُنْتُ أَفْتَكِرُ. ولكن لما صِرْتُ رجلاً، أبطلتُ ما للطفل. فإننا ننظرُ الآنَ في مرآةٍ، في لغزٍ، لكن حينئذٍ وَجهاً لوجهٍ. الآنَ أعرفُ بعضَ المعرفةِ لكن حينئذٍ سأعرفُ كما عُرِفْتُ. أمّا الآنَ فيثبتُ الإيمانُ والرجاءُ والمحبّةُ، هذه الثلاثةُ ولكنَّ أعظَمَهُنَّ المحبّةُ."

في نهايةِ هذا الإصحاح، يُلخِّصُ بُولسُ مقارناتِهِ للمحبّةِ عندما يقولُ أنَّهُ هُنَاكَ ثلاثةُ أمورٍ تبقى، لأنّها قِيمٌ أبديّةٌ: الرجاءُ، الإيمانُ، والمحبّةُ. ولكنَّهُ يستنتِجُ أنَّهُ أعظَمُ هذه القِيمِ الأبديةِ هي المحبّةُ. الرجاءُ هُوَ من القِيمِ الباقيةِ لأنَّهُ يُؤدِّي إلى الإيمانِ. فرجاؤنا أنَّهُ شيئاً صالحاً سيحدثُ لنا، سوفَ يُصبحُ يوماً ما مُجسّداً عندما يقودنا إلى الإيمانِ. (عبرانيين ١١: ١)

والإيمانُ هو واحدٌ من القِيمِ الباقيةِ لأنَّهُ يقودنا إلى الله. ولكن عندما نكتشفُ المحبّةَ، سنكتشفُ الله. لهذا المحبّةُ ليسَ لها بديلٌ ولا مثيل. لأنَّ اللهَ محبّةٌ (أيوحنا ٤: ١٦)

المحبّةُ المُعقّدة (أعداد ٤-٧)

المحبّةُ تتأني وترفق. المحبّةُ لا تحسد. المحبّةُ لا تتفاخرُ ولا تنتفخُ ولا تُفبِحُ ولا تطلبُ ما لِنفسِها ولا تحتدُّ ولا تظنُّ السوء. ولا تفرحُ بالإثم بل تفرحُ بالحق. وتحتملُ كُلَّ شيءٍ وتُصدِّقُ كُلَّ شيءٍ وترجوُ كُلَّ شيءٍ وتُصبرُ على كُلِّ شيءٍ."

يقولُ Henry Drummond في كتابهِ التفسيرِ التأملي "أعظَمُ شيءٍ في الدُّنيا"، أَنَّهُ في الأعداد ٤-٧، يُعيِّزُ الروحُ القُدسُ عن مفهومِ المحبّةِ من خلالِ فكرِ الرسولِ بُولسِ المُوحى، ويخرُجُ من الجهةِ الثانيةِ كَعُنُقُودٍ من الفضائل. هُنَاكَ خمسَ عشرةَ فضيلةً مُسمّاةً في هذه الأعداد الخمسة من كورنثوس ١٣. وإن تأملتَ في هذه الفضائل، ستكونُ تتأمَّلُ في جوهرِ الحُبِ الإلهي، وتضعُ الحُبَّ أو المحبّةَ أو الطبيعةِ الإلهيةِ تحتَ مجهرِ التحليل، لأننا نعرفُ أنَّ اللهَ محبّةٌ. (أيوحنا ٣: ١٦)

من الصعبِ جداً أن نُعرِّفَ اللهَ أو المحبّةَ التي هي الله. يُخبرنا بُولسُ، بحكمةٍ عظيمةٍ وبارشادِ الروحِ القُدسِ، كيفَ تتصرَّفُ المحبّةُ الإلهيةُ. فهو يقولُ ما معناه، "إن كانَ لديكُ

هذه المحبة التي أكتب عنها، فهذه الطريقة ينبغي أن تتعامل مع الناس الذي تلتقيهم في حياتك." وفي رسالة أخرى موحى بها من الله، يُخبرنا بولس أن هذا النوع من المحبة هو ثمر وبرهان كون الروح القدس يحيا فينا. (غلاطية ٥: ٢٢) في هذه الأعداد الأربعة في قلب إصحاح المحبة هذا، يضع بولس هذه المحبة تحت المجهر الروحي.

سوف أضغ أمامكم هذا التحدي. بينما نحلل هذه الفضائل الخمسة عشر التي تُشكّل الحب أو المحبة الإلهية، فكم بزوجتك أو بزواجك أو بالأولاد. لا تفكر بنفسك. أنا أتعجب من قدرة الناس العجيبة على قلب الأمور رأساً على عقب، فيقولون، "بهذه الطريقة ينبغي أن أكون محبوباً من قبل زوجتي أو زوجي." ولكن ما يقوله بولس هو، "بهذه الطريقة ينبغي أن أُحب الآخرين."

منذ عدة سنوات، عندما كانت ابنتنا الكبرى لا تزال في الثانية من عمرها، بعد أن أوصلتها إلى حضنة الكنيسة ذات يوم، اختبأت جانباً وصرت أرقب ماذا يحدث. دخلت ابنتي، ورأت طفلاً صغيراً بيده خشيشة يلعب بها الأطفال عادةً. فانتزعت ابنتي الخشيشة من يد الطفل وقالت له، "قال يسوع أن نُشارك ما لنا مع الآخرين. فأعطني هذه." من الواضح أن ابنتي لم تفهم معنى المحبة التي تكلم عنها بولس في هذا المقطع. نحن البالغين نفعل هذا الأمر بعينه. فعندما ندرس هذا المقطع عن الحب، نتساءل، "لماذا لا تعاملني زوجتي بهذه الطريقة؟" فكلما ننظر إلى فضائل الحب هذه، لا تفكر كيف ينبغي أن تُحبك زوجتك، بل اسأل نفسك هل أنت تُحبها بهذه الطريقة؟ والآن دعونا ننظر إلى كل واحدة من هذه الفضائل على حدة:

المحبة "تتأني وترفق". تعني الكلمة في الأصل اليوناني أنها رحيمة ولا تنتقم لنفسها، ولا تُطالب بحقوقها، حتى ول توفرت لها الفرصة لذلك.

"المحبة لا تحسد". الكلمة التي يستخدمها بولس هنا مرادفة لكلمة "كريمة". هذا يُشير إلى الالتزام غير الأناني من واحد تجاه الآخر. إنها نوع من العيرية المقدسة. فهل أنت ملتزم بسلامة وسعادة الشريك الآخر، وبأن تُعطيهِ من وقتك وطاقتك وأي شيء آخر يُمكن أن يكون مطلوباً لإرضاء حاجة شريك حياتك؟ هذا ما تعنيه عبارة "المحبة لا تحسد" في اللغة الأصلية.

"المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ". فليس لها حاجة لإثارة إعجاب الآخرين بها، وليست متبجحة لأنها في جوهرها متواضعة، وليست مُستكبرة أو مُدعية، بل هي نقيض الكبرياء.

بُعْدَا الْمَحَبَّةِ الْإِلَهِيَّةِ

كُلُّ هذِهِ الْفَضَائِلُ لَهَا بُعْدَانٌ، خَارِجِيٌّ وَدَاخِلِيٌّ. خَارِجِيًّا، الْمَحَبَّةُ تَنْصَرِّفُ هَكَذَا لِأَنَّهَا هِيَ هَكَذَا دَاخِلِيًّا. هَذَا مَا نَرَاهُ فِي الْعَدَدِ ٥: الْمَحَبَّةُ لَا "تُقَبِّحُ". فَخَارِجِيًّا، الْمَحَبَّةُ لَا تُنْسِيءُ التَّصَرُّفَ، بَلْ تَنْصَرِّفُ بِلِيَاقَةٍ وَتَهْدِيْبٍ. وَالْمَحَبَّةُ "لَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا وَلَا تَحْتَدِّدُ". أَيُّ لَا يُمَكِّنُ إِثَارَةً غَضَبِهَا بِسَهُولَةٍ. هِيَ غَيْرُ مُتَزَعِرَةٍ وَغَيْرُ مُنْقَلِبَةٍ. فَلَا تَسْمَحُ لَكَ بِأَنْ تُغْضِبَ صَاحِبَهَا، وَلَا أَنْ تُحْزِنَهُ. فَهَذَا هُوَ تَعْبِيرٌ خَارِجِيٌّ عَنِ حَقِيْقَةٍ دَاخِلِيَّةٍ، لِأَنَّ هَكَذَا شَخْصٌ لَا يَبْحَثُ عَنِ صَالِحِهِ الشَّخْصِيِّ، وَلَا يَتَأَكَّلُهُ الْإِسْفَاقُ عَلَى الذَّاتِ أَوْ الْإِنْهَمَاكُ بِالذَّاتِ.

وَالْمَحَبَّةُ "لَا تَظُنُّ السُّوَاءَ". هَذَا يَعْنِي أَنَّ الْمَحَبَّةَ تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ لَا يَحْفَظُ سِجَلًا بِأَخْطَاءِ الْآخَرِينَ. بِكَلَامٍ آخَرَ، يُصْبِحُ لَدَى الْإِنْسَانِ ذَاكِرَةٌ مُقَدَّسَةٌ. هَلْ تُسَبِّحُ سَجَلَاتِ بِأَخْطَاءِ زَوْجَتِكَ أَوْ زَوْجِكَ؟ إِنْ كُنْتَ تَفْعَلُ، أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا لَا يَأْتِي مِنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ فِي قَلْبِكَ. سَبَبُ كَوْنِ هَذَا الْحُبِّ لَا يَحْفَظُ خَارِجِيًّا سَجَلَاتِ أَخْطَاءِ الشَّرِيكِ الْآخَرَ هُوَ أَنَّهُ دَاخِلِيًّا لَا يَفْرَحُ بِالْإِثْمِ، مِمَّا يَعْنِي أَنَّهُ لَا يَفْرَحُ بِأَخْطَاءِ وَفَشْلِ الشَّرِيكِ الْآخَرَ الْمَحْبُوبِ. وَإِذَا حَدَثَ وَفَشِلَ الشَّرِيكِ الْآخَرَ، يَتَأَلَّمُ الْمُحِبُّ وَيُسْتِزُّ عَنِ خَطَا الشَّرِيكِ الْآخَرَ خَارِجِيًّا. وَهُوَ يَفْرَحُ دَاخِلِيًّا بِنَجَاحِ الشَّرِيكِ الْآخَرَ. هَذَا مَا تَعْنِيهِ عِبَارَةٌ "الْمَحَبَّةُ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ". أَنَّ نَفْرَحَ عِنْدَمَا يَسْوَدُ الْحَقُّ فِي حَيَاةِ الشَّرِيكِ الْآخَرَ هُوَ تَعْبِيرٌ عَنِ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ.

وَيَقُولُ الْعَدَدُ السَّابِعُ أَنَّ الْمَحَبَّةَ "تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ". فَعِنْدَمَا يَسْفُطُ مَوْضُوعٌ حُبِّنَا، أَيُّ الشَّرِيكِ الْآخَرَ، يُسْتِزُّ عَلَيْهِ الْحَبِيْبُ. هَذَا مَا تَعْنِيهِ عِبَارَةٌ "تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ". الْمَحَبَّةُ هِيَ أَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا الْإِيمَانُ وَالثَّقَةُ بِقُدْرَةِ وَطَاقَةِ الشَّرِيكِ الْآخَرَ مَوْضُوعِ الْحُبِّ. وَهَذَا يُؤَدِّي الْكَثِيرَ مِنَ الْخَيْرِ لِلْآخَرِينَ.

عِنْدَمَا كُنْتُ شَابًا يَافِعًا وَلَا أَمْتَعُ إِلَّا بِالْقَلِيلِ مِنَ الطَّاقَةِ الْهَزِيلَةِ، كَانَ لَدَيَّ رَاعِي كَنِيسَةٍ يُعَامِلُنِي بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ مِمَّا أَفَادَنِي كَثِيرًا. وَكَانَ عَادَةً يَقُولُ، "أَنَا أَتَقُّ بِكَامَلِكِ". وَبِالطَّبْعِ أَنَا لَمْ أَصْبِحْ كَامِلًا، فَأَنْ تَرَى شَخْصًا يَقُولُ أَنَّهُ يَتَقُّ بِكَامَلِكِ، أَعْتَقَدْتُ أَنَّهُ يَمْرَحُ، وَلَكِنَّهُ كَانَ جَادًّا. لَقَدْ وَثِقَ بِي بِالْفِعْلِ. لَقَدْ "صَدَّقَ كُلَّ شَيْءٍ".

وَبِمَا أَنَّ الْمَحَبَّةَ لَدَيْهَا الْإِيمَانُ لَتَرَى قُدْرَةَ وَطَاقَةَ الشَّرِيكِ الْآخَرَ، فَهِيَ تَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، مِمَّا يَعْنِي تَنْتَظِرُ بِفَرَحٍ إِتْمَامَ مَا تَرَاهُ وَتَتَّقُ بِهِ. وَعِنْدَهَا، بَيْنَمَا تَتَّقُ وَتَنْتَظِرُ لِإِتْمَامِ مَا تَرَاهُ فِي مَوْضُوعِ الْحُبِّ، أَيُّ فِي الشَّرِيكِ الْآخَرَ، "تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ". يَعْنِي هَذَا بِالْأَصْلِ الْيُونَانِي أَنَّهَا تُثَابِرُ بِالثَّقَةِ وَالْإِنْتِظَارِ. كُلُّ هَذَا مُعَبَّرٌ عَنْهُ خَارِجِيًّا، لِأَنَّ الْمُحِبَّ لَدَيْهِ دَاخِلِيًّا هَذِهِ الثَّقَةُ الْمُقَدَّسَةُ. هَذِهِ الثَّقَةُ هِيَ أَيْسَتْ بِمَوْضُوعِ الْحُبِّ، بِمَقْدَارِ مَا هِيَ بِقُدْرَةِ الْمَسِيحِ أَنْ يَعْمَلَهُ مَعَ وَمِنْ خِلَالِ مَوْضُوعِ الْحُبِّ أَوْ الْمَحْبُوبِ.

وأخيراً، يُوكِّد لنا بُوَأْسُ أَنَّ المَحَبَّةَ "لا تسفُطُ أبداً" (عدد ٨). نحنُ نفشلُ أو نسفُطُ في المَحَبَّةِ، ولكنَّ المَحَبَّةَ لا تسفُطُ أبداً. والمُحِبُّ يعرفُ داخلِيّاً أَنَّ المَحَبَّةَ التي يَكُنُّها نحوَ موضوعِ الحُبِّ لن تسفُطَ أبداً ولن تفشلَ ولن تفقدَ تأثيرها على موضوعِ الحُبِّ أو الشريكِ الآخر. بكلماتٍ أخرى، يستمرُّ المُحِبُّ بالقولِ للشريكِ الآخر، "لن يمنعني أيُّ شيءٍ تقوليْنَهُ أو تفعلينَهُ عن حُبِّي لكِ. لأنَّني أُحِبُّكَ بِمَحَبَّةِ المَسِيحِ التي تحتَمِلُ كُلَّ شيءٍ."

على ضوئِ هذه الفضائلِ الخمسة عشر، أنظر إلى زوجتِكَ أو إلى زوجِكَ، وإسأل نفسك، "عندما أقولُ أَنَّنِي أُحِبُّها، ماذا أعني بذلك؟" فإن كانَ الروحُ القُدُسُ ساكِناً فيكَ، سيكونُ لديكِ الإمكانيةُ بأن تُحِبَّ زوجتَكَ بهذه المَحَبَّةِ المُعنَقةِ بالفضائل. هذه هي القُوَّةُ الديناميكيةُ التي تُفَعِّلُ الوحدَةَ بينَ شَرِيكَيْنِ يعيشانِ في زواجٍ مسيحيٍّ كما خطَّطَ اللهُ عندما خلقَ الإنسانَ ذَكَراً وأنثى. وبدونِ هذه الديناميكيةِ، ستكونُ وحدتُكُمَا مُجتزئةً من روحِ قانونِ الزواجِ والعائلةِ. ولكن، إن كانَ لَكُمَا بِنِعْمَةِ اللهِ هذه الديناميكيةُ، فهذه المَحَبَّةُ تستطيعُ أن تجعلَ من الوحدَةَ أن تكونَ بحسبِ قصدِ اللهِ.

الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس. لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملاً حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل